# البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري

## علم المعاني

**إعداد**

**د. أشرف حسن محمد حسن**

**أ. عبير بنت علي أحمد الفيفي**



**الطبعة الأولى**

**1437هـ/ 2016م**

# البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري

## علم المعاني


**إعداد**

**د. أشرف حسن محمد حسن**

**أ. عبير بنت علي أحمد الفيفي**



**1437هـ/ 2016م**

# بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات


| | |
|---|---|
| فهرس المحتويات | ب |
| التمهيد | 5 |
| المعاني التي يتضمنها المتن النبوي. | 10 |
| الفصل الأول: الأساليب الخبرية والإنشائية. | 11 |
| المبحث الأول: الجملة الخبرية. | 12 |
| المطلب الأول: الجملة الاسمية والجملة الفعلية: | 12 |
| المطلب الثاني: أضرب الخبر. | 16 |
| أسلوب التوكيد (): | 17 |
| المبحث الثاني: أساليب الإنشاء. | 32 |
| المطلب الأول: أساليب الإنشاء الطلبي في التفسير النبوي. | 32 |
| المطلب الثاني: الإنشاء غير الطلبي في التفسير النبوي. | 48 |
| الفصل الثاني: أَحْوَالُ الإِسْنَادِ. | 50 |
| المبحث الأول: الذكر. | 51 |
| المبحث الثاني: الحذف | 54 |
| المبحث الثالث: تقديم الكلام وتأخيره. | 60 |
| المبحث الرابع: التنكير والتعريف | 66 |
| الفصل الثالث: أَسَالِيبُ القَصْرِ وَالوَصْلِ والفَصْلِ. | 74 |
| المبحث الأول: القصر في النصوص النبوية. | 75 |
| المبحث الثاني: الوصل والفصل | 78 |
| المطلب الأول: الوصل. | 78 |
| المطلب الثاني: الفصل. | 81 |
| الفصل الرابع: الإِيجَازِ والإِطْنَابِ والمُسَاوَاةِ. | 88 |

المبحث الأول: المساواة. 89
المبحث الثاني: الإيجاز. 91
المطلب الأول: الإيجاز بالقصر. 91
المطلب الثاني: الإيجاز بالحذف. 92
المبحث الثالث: الإطناب. 94
المطلب الأول: دواعي الإطناب البلاغية. 94
المطلب الثاني: أقسام الإطناب. 95
الفصل الخامس: خُرُوجُ الكَلَامِ عَلى خِلافِ مُقْتَضَى الظَّاهِر. 101
المبحث الأول: الالتفات. 102
المبحث الثاني: تجاهل العارف. 103
المبحث الثالث: التعبير عن زمن فعل بغيره. 104
المطلب الأول: أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضي وعكسه. 104
المطلب الثاني: صور التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل أو المفعول. 107
المطلب الثالث: أغراض وضع الخبر موضع الانشاء، ووضع الانشاء موضع الخبر. 109
المبحث الرابع: التغليب. 113
الخاتمة 114
فهرس المراجع 116

## المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى اللسان العربي من بين ألسن أهل الأرض، وكرمه وشرفه بأن أنزل به كتابه الكريم، وجعله لسان أهل الجنة، واصطفى من خلقه الرسل والأنبياء، واصطفى منهم أفصح العرب وأبلغهم سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد:

فقد دأب علماء الأدب والبلاغة والنقد منذ القدم على دراسة أوجه البلاغة في الكتاب والسنة، وتحليل نصوصهما والاستشهاد منهما؛ لكونهما من المصادر الأساسية للغة العرب؛ إذ إن القرآن الكريم نزل على أكمل وجه وأتمه في الإعجاز والبلاغة وجمال الأساليب وروعة البيان، والسنة النبوية المطهرة التي أيد الله صاحبها بالفصاحة والبيان والإيضاح، كيف لا وهو القائل "أعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه"[1]، فهما أجل مصدرين لهذه اللغة، وأعظم مرجعين لشريعة الإسلام؛ لذا شرف الغاية وسمو الوسيلة يحتمان على من أراد التعمق في الدراسات البلاغية أن يجعل جلها في هذين المصدرين العظيمين، لا سيما إذا اجتمعا في نص واحد، فإنه بلا ريب نص عظيم يستحق الدراسة والتأمل والغوص في بحر معانيه، وجمال أساليبه وألفاظه وروعة بيانه وبدائعه، لهذا جعلت موضوع هذا الكتاب (البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري علم المعاني).

ولا شك أن الرغبة في نيل شرف دراسة الحديث الشريف دراسة منهجية، وبالأخص الأحاديث المختصة بالتفسير النبوي للقرآن الكريم، بتحليل نصوص الآيات المفسَّرة مع تفسيرها النبوي جملة واحدة من جانب علم المعاني، خاصة أن الدراسات البلاغية التي اختصت بهذا الجانب أو هذا الكتاب من صحيح البخاري قليلة. وبالله التوفيق والتيسير.

---

(1) العز ابن عبد السلام، **بداية السول في تفضيل الرسول**، د. ط، ص٧٤.

## التمهيد

**ماهية مناهج التحليل البلاغي وبيان أهميتها.**

**أولاً: المنهج في اللغة:**

أصله عند ابن فارس "النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ"[1]، إذن المنهج من نَهْج مصدر نَهَجَ يَنْهَجُ نَهْجَاً، وبتتبع معاجم اللغة نجد أن النهج –بسكون الهاء– يدل على الطريق أو الوسيلة.

و"المنهاج: الطريق الواضح، وهو الخطة المرسومة، ومنه: منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما"[2].

وفي الاصطلاح "هو مجموعة من المواد الدراسية والخبرات العملية الموضوعة لتحقيق أهداف التربية"[3].

فالمنهج إذن هو الطريقة التي يسلكها عالم البلاغة في دراسته لأبواب البلاغة وتفريعاتها.

**ثانياً: التحليل، وأصله في اللغة: الحَلُّ، وهو التفكيك.**

قال ابن فارس "الْحَاءُ وَاللَّامُ لَهُ فُرُوعٌ كَثِيرَةٌ وَمَسَائِلُ، وَأَصْلُهَا كُلُّهَا عِنْدِي فَتْحُ الشَّيْءِ، لَا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ"[4].

فـ "حَلَّ: الْعُقْدَةَ فَتَحَهَا فَانْحَلَّتْ"[5]، و"تحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها"[6].

وفي معجم الرائد "حلل تحليلاً، ١– العقدة: حلها.٢– المادة: حاول معرفة عناصرها وخصائصها( حلل

---

(1) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د.ط، مادة : "نهج"، ص٨٧٤

(2) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٢، مادة "نهج" ج٢، ص٩٥٧

(3) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، د.ط، ج٢، ص٤٣٥.

(4) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د.ط، ص١٩٤، مادة "حلَّ"

(5) الرازي، **مختار الصحاح**، د.ط، ص١٩٦

(6) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٢، ج١ ص ١٩٤، مادة "حلّ"

الدم) ٣- نفسيته: حاول معرفة أعماقها وخفاياها وعللها. ٤- بالمكان: جعله ينزل به"[1].

لذا يُستنبط تعريف التحليل عند البلاغيين أنه: تفكيك النصوص الأدبية، ودراسة عباراتها وصورها، وأفكارها وتركيباتها اللغوية ودلالاتها، والعلاقات بين الألفاظ ومعانيها، وما فيها من تحسينات لفظية ومعنوية، والأبواب البلاغية التي تندرج تحتها، وبيان ما فيها من نكت وجماليات وأغراض.

يتلخص مما سبق من تعريفات أن «منهج التحليل البلاغي» هو: الطريقة التي اتبعها العلماء في دراسة البلاغة وتحليل النصوص الأدبية تحليلاً بلاغياً.

فكما هو معروف عند نشأة علم البلاغة أن لكل عالم طريقته الخاصة به، وتقسيماته وتفريعاته ومناهجه، فقد كانت في أول أمرها مجرد نظرات وملحوظات بلاغية مبثوثة متفرقة على هامش العلوم الأخرى، ثم تبلورت لنا حديثاً في أبوابها الثلاثة، بعد أن بذل فيها القدماء جهداً كبيراً بالدراسة والتأمل والتدقيق.

**أهمية التحليل البلاغي:**

تكمن أهمية التحليل البلاغي، في البحث عن مكنونات النص وجمالياته، واستخراج درره وجواهره، وتذوق بدائعه وروائعه، قال الدكتور عبد الله بانقيب: "وثمرة علم البلاغة كامنة في تحليل البيان للوقوف على أسراره ومعرفة الفروق بين أجناسه، والتمييز بين طبقاته، ما علا منها وما نزل، ودون ذلك لا تقوم البلاغة بالغاية التي عقدت لأجلها، وكانت سبب بحثها ووجودها"[2].

وكذلك مما يتصل بأهمية تحليل النصوص بلاغياً، إعطاء كل نص حقه؛ فحينما نرى خاصة في هذا العصر كيف ابتعد الناس عن اللغة العربية الفصحى، وما سبب هذا الابتعاد من زهدٍ في هذه اللغة وفي تعلمها وعدم الحرص على إتقانها أو انتقاء أفضل الألفاظ للتعبير عن المعاني المختلجة في النفس، وإعطاء النص

(1) جبران مسعود، **الرائد**، ط٧، ص٣١٤.

(2) بانقيب، **مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز**، ط١، ص ٢٠

حقه العلمي ووزنه الأدبي وقيمته الفنية؛ لا تتأتى إلا بفهم حقيقي للمراد منه، ودراسة فنونه وأغراضه البلاغية، والوقوف على سياقاته ومقتضياته، فتعلو قيمته أو تنزل تبعاً لبلاغته وفصاحته.

**خطوات التحليل البلاغي:**

بعد الاطلاع على طرق عدد من العلماء في تحليل النصوص واستخراج بدائعها وجمالياتها، يلحظ أن لديهم خطوات متشابه في دراسة النص والتأمل فيه، وأنهم –وإن اختلفت طرقهم– توفرت فيهم صفات تميزهم عن غيرهم من العلماء في الفنون الأخرى، فمما يُتوصل إليه من طرقهم في التحليل أن هناك خطوات محددة يجب على من أراد تحليل أي نص أدبي أن يعتمد عليها ويسير وفقها ليستنطق النص –الذي هو بصدد دراسته– ويصل إلى جمالياته وبدائعه، أهمها:

أولاً: إعداد شخصية الباحث نفسه بلاغياً وتمكنه من أبواب البلاغة واستيعابه لفنونها وأقسامها، وتمييزه بين عناصرها ودروسها، فإذا رهفت الذائقة البلاغية عنده أصبح لديه المهارة التي يستطيع من خلالها تمييز النصوص وتحليلها واستخراج ما فيها والوقوف على أسرارها وبيانها، إضافة إلى أهمية اطلاعه على فنون اللغة الأخرى كالنحو والصرف.

ثانياً: يأتي بعد بناء عقلية المحلل البلاغي، الخطوة الثانية –وتتعلق بذات النص– وهي فهم المعنى الإجمالي للنص كاملاً، والتفصيلي لمفردات النص وألفاظه، فإذا استوعب المحلل هذه المعاني؛ سهل عليه استخراج ما في النص من دقائق بيانية ونكت بلاغية.

ثالثاً: محاولة معرفة السياقات والمناسبات التي تربط وحدات النص، والمقام الذي من أجله كان هذا النص؛ لأن هذا الأمر من شأنه تحديد درجة الأثر النفسي لهذا النص.

رابعاً: التأمل في الظواهر البلاغية والمعاني النحوية للنص، وبيان أسبابها وحيثياتها، ثم ربط هذه الظواهر والمعاني بالسياق العام الذي يسير عليه النص؛ للوصول إلى الخطوة الأخيرة وهي الوحدة الكلية للنص.

خامساً: وضع الرؤية الكلية للبيان، بالنظر إليه كوحدة واحدة متكاملة للخروج بالفائدة البلاغية

الأساسية المرجوة من النص بشكل عام ومجمل.

**البلاغة النبوية:**

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في كتابه البيان والتبيين، واصفًا كلامَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم "هو الذي قَلَّ عددُ حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال اللهُ تبارك وتعالى: قل يا محمد! :( وَمَا أَنَا مِنَ المتَكَلِّفِينَ)"[1].

فالدراسات التي عنيت بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وألفاظه، لاستخراج ما فيها من البيان والإعجاز هي ما يعرف بالبلاغة النبوية، ولبلاغته صلى الله عليه وسلم خصائص تميز بيانه عن بيان غيره من البشر، من أهمها:

أن اللفظ يجيء سهلا، نجد فيه الجمال الطبعي، نجد الألفاظ متناسقة يأخذ بعضها بحجز بعض، مع الإيجاز، وإحكام المعنى، والاتجاه إلى مقصد القول، وتصوره، أحيانا بالحقيقة، ويكون لها جمال كجمال الطبيعة، ومن خصائص البلاغة النبوية أنها لا تعلو على العقول الفطرية، فهي تدركها في أيسر كلفة مع جلال المعنى وعمقه وقوة نفوذه في النفوس، والخاصة يجدون فيه علم ما لم يعلموا، وأن كلامه عليه الصلاة والسلام من جوامع الكلم، فيه حكمة، وفيه ألفاظ قليلة ومعان جديدة لم تكن معروفة.

وإنه من الظواهر العامة في كلامه عليه الصلاة والسلام أنه يخاطب العقل والوجدان من غير استكراه للألفاظ أو تكلف في المعاني، بل كل ذلك يجرى سهلا طيبا قيما، وكذلك خلو كلامه عليه الصلاة والسلام من الصناعة البديعية، فهو بديع في ذاته من غير صناعة، وقد يجيء أحيانا في كلام الرسول بعض السجع، ولكنه سجع غير مقصود، بل هو من إحكام القول، وإنه أحيانا يجيء كلامه القصصي الذى يحكى قصة في أسلوب تصويري، تنطق فيه حقائق القصة وأبواب العبرة في كلام مرسل سهل، يمكن القارئ أو السامع

(1) الجاحظ، **البيان والتبيين**، د.ط، ج٢، ص١٧

من أن يصل إلى غايتها، ويدرك معانى هدفها الصادق من غير إسراف في اللفظ، ولا نقص في الأداء، ولكن وفاء وكمال في غير حشو، ولا لغو[1].

ولم تحظ البلاغة النبوية بدراسات عميقة ومؤصلة قديماً كما حظي القرآن الكريم، فقد سخر البلاغيون القدامى جل جهودهم في دراسة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم وصنفوا فيه الكتب والرسائل، أما البلاغة النبوية فقد كانت مبثوثة في كتب السيرة وشروحات الأحاديث، كشروح الخطابي والطيبي وابن حجر وغيرهم، إذ كانوا يضمنون الشرح بعض اللطائف والنكت البلاغية الرائعة، ثم ظهرت مؤخراً الدراسات المتخصصة على البلاغة النبوية التي عنيت ببلاغته صلى الله عليه وسلم وفصاحته بشكل عام وبأحاديثه بشكل خاص، وممن كتبوا في هذا المجال: مصطفى الرافعي في السموُّ الروحِي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، وهو لا يتحدث عن الأحاديث بصورة منهجية مراعياً أبواب البلاغة إنما يحلل بعض الأحاديث تحليلاً فنياً أدبياً، وعندنان زرزور في كتابيه: البيان النبوي –مدخل ونصوص–، وكتاب: سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد، وغيرهم.

وأما اليوم فقد كثرت الدراسات والمؤلفات والكتابات في بلاغته وفصاحته صلى الله عليه وسلم، وهذه الدراسة مساهمة في هذا المجال، نرجو بذلك نيل شرف مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجاورته.

(1) أبو زهرة، **خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم**، د.ط، ج١، ص٢٣٢، بتصرف.

## المعاني التي يتضمنها المتن النبوي.

اصطلح علماء البلاغة على تقسيمها إلى ثلاثة أبواب: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وقد اعتمدت هذا التبويب في هذه الدراسة؛ سيراً على سبيلهم، واقتفاءً لآثارهم، واهتداء بسننهم.

فأولها "باب علم المعاني" المعني بدلالات الألفاظ ومعاني تراكيبها النحوية، وقد عنونت له بـ (**المعاني التي يتضمنها المتن النبوي في كتاب التفسير من صحيح البخاري**).

واقتضت الفنون التي تندرج تحت هذا الباب تقسيمه إلى خمسة فصول: في الخبر والإنشاء، والذكر والحذف والتقديم والتأخير، والقصر والوصل والفصل، والإيجاز والاطناب والمساواة، وحالات خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

## الفصل الأول: الأساليب الخبرية والإنشائية.

ويتضمن هذا الفصل معاني التراكيب الخَبريَّة والإنشائية، وأسرار التعبير بالجمل الاسمية والفعلية، وأَضْرُب الأَخْبَار ودواعيها، وأنواع الألفاظ المنشأة وأساليبها.

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: الجملة الخبرية.**

**المبحث الثاني: في حقيقة الإنشاء.**

## المبحث الأول: الجملة الخبرية.

جملة الخبر في البلاغة غير الخبر في النحو، ففي علم النحو يقصد به قسيم المبتدأ، "وهو الجزء الَّذي يُتمِّمُ الفائدةَ للمبتدأِ"[1]، وأما في علم البلاغة فهو "هو الكلام المحتمل للصدق والكذب"[2].

وأما الفائدة من الأسلوب الخبري: فهي الإعلام بالغرض أو المقصد الذي تضمنه الكلام، إلا أن المعنى العميق للجملة يتبين من نوعها والقرائن المصاحبة لها، ففي قوله صلى الله عليه وسلم عن سورة الفاتحة: "**هِيَ السَّبْعُ الْمَثانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**"[3]، نجد أن اسمية الجملة والقرينة اللفظية التي سُبق بها هذا الخبر، أفادتا التعظيم لهذه السورة والإعلاء من شأنها، كما سيأتي إن شاء الله.

### المطلب الأول: الجملة الاسمية والجملة الفعلية:

تصنف الجملة على حسب الكلمة التي تبدأ بها، فإن بدئت باسم فهي جملة اسمية، وإن بدئت بفعل فهي جملة فعلية، وكلٌ منهما تفيد معنى خاصاً بها، فـ" الفعلَ يقتضي مزاولةَ وتجدُّدَ الصفةِ في الوقتِ، ويَقْتضي الاسمُ ثُبوتَ الصفةِ وحُصولها من غيرِ أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وتَزْجيةُ فعلٍ، ومعنىً يَحْدُث شيئاً فشيئاً"[4]، وكلا الجملتين –الفعلية والاسمية– لهما ركنان: مسند ومسند إليه، فالمسند هو (المحكوم به) على المسند إليه (المحكوم عليه)[5].

**فالجملة الاسمية** تفيد أساساً: الاتصاف .أي "اتصاف المسند إليه بالمسند"[6] أي اتصاف المبتدأ بمضمون الخبر، وقد تفيد معانٍ أخرى كالاستمرار والدوام والثبوت، بالقرائن المصاحبة لها، ففي قوله صلى

---

(1) عَبد الله بن يُوسف الجُدَيْع، **المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف**، ط٣، ص٦٦.

(2) الجرجاني، **معجم التعريفات**، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، ص٨٤.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

(4) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ط٥، ص١٧٥.

(5) ابن عثيمين، **شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية**،ط١، ص٥٩ ،بتصرف.

(6) ابن عثيمين، **شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية**، ط١، ص٦٣.

الله عليه وسلم "**يدُ اللَّهِ مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار**"[1] يتضح لنا جلياً أن يد الله عز وجل –المسند إليه– اتصفت بالامتلاء –المسند–، وبالقرينة اللفظية –لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار– أفاد الحديث ثبوت امتلاء يده تعالى بالرزق، الذي لا ينقصه ولا يؤثر فيه كثرة الإنفاق، واستمرار تدفق الخير والنعم بالليل والنهار.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى:" وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ"(الرحمن: ٦٢)، "**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**"[2] وصف النبي صلى الله عليه وسلم الجنتان بأنهما من فضة ومن ذهب، والقرينة اللفظية –آنيتهما وما فيهما– أفادت شمول كل شيء في هاتين الجنتين وكماله ذهباً وفضةً، واستغراق الذهب والفضة لما في هذه الجنتين.

وفي إخبار جبريل –عليه السلام– النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به إلى السماء عندما قال "**أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ :هَذَا الْكَوْثَرُ**"[3]، فجواب جبريل –هذا الكوثر– أفاد الحكم على هذا النهر بأنه نهر اسمه الكوثر وصفته كوثر؛ ذلك بالقرائن التي أفادت اتصاف المسند إليه –معنى الكوثر–، الذي يدل على "العدد الكثير والخير العظيم"[4]، ومما يعضد هذا المعنى القرينة اللفظية الثابتة عن عائشة رضي الله عنها في وصف هذا النهر عندما سُئِلَتْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:" إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ" (الكوثر: ١). فقَالَتْ: نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُوم[5].

هذا ما يتعلق بفائدة الجملة الاسمية، أما **الجملة الفعلية** فهي تفيد الحدوث في زمن معين، أي تدل وقوع الفعل وزمن وقوعه، "وقد تفيد الاستمرار التجددي بالقرائن إذا كان الفعل مضارعاً"[6]؛ لأنه من دلالات

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:( ومن دونهما جنتان)، رقم الحديث (٤٨٧٨)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٦٤)

(4) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٢، ص٧٧٧، مادة "كثر".

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٦٥)

(6) ابن عثيمين، **شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية**، ط١، ص ٦٠.

الفعل المضارع الاستمرارية في الفعل، كما في تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ". (البقرة: ٢٢) عندما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ:" **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**" قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثمَّ أَيُّ؟ قَالَ:" **وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**". قُلْتُ: ثمَّ أَيُّ؟ قَالَ:" **أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**"[1]. نرى مدى دقة التعبير النبوي الفصيح عندما يعبر عن هذه الذنوب بالجمل الفعلية التي تتضمن أفعالاً مضارعة تدل على أن عظمة هذه الكبائر وإثمها إنما يقع على من هو مستمر في ارتكابها ومُصِرٌ عليها، ومما يتضمنه معنى هذا التركيب النبوي البليغ، الترغيب في التوبة والإقلاع عن هذه الذنوب؛ لأن اللفظ لم يأتِ بصيغة الماضي الذي قد حدث منه هذا الذنب وانتهى، فذِكْره بصيغة المضارع يدل على أن باب التوبة من هذه الذنوب لا زال مفتوحاً، كما تدلنا دقة هذا الأسلوب النبوي الكريم على أن بيانه صلى الله عليه وسلم إنما هو من البيان القرآني العظيم لمَّا نرى ذلك بيناً وجلياً في الآية المرتبطة بهذا الحديث:" فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"( البقرة: ٢٢) فهي بنفس الأسلوب الذي يدل على أن الإثم يقع ممن يستمر في الشرك وهو يعلم من الذي خلقه ورزقه وسخر له ما في الأرض والسماء!

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:" **وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**"[2]، نجد أن التعبير بالفعل المضارع يدل على تَصَّرُفِ الأرزاق وتفاوتها بين العباد، وأنها غير ثابتة أو مستقرة لهم؛ فقد يصبح الإنسان غنياً ويمسي فقيراً، أو خلافه مما يحث الإنسان على السعي في طلب الرزق وبذل أسباب تحصيله، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:" **قَالَ اللَّهُ عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"[3]، ففي قوله –أقلب الليل والنهار– يدل على استمرار تعاقب الليل والنهار بأمره وقدرته جل وعلا.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، رقم الحديث (٤٤٧٧)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

وفي حديث الرؤيا [1]، في قوله صلى الله عليه وسلم "**تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ**"، يخبر الملكان النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله قد غفر للذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وعفا عنهم، ويدل الفعل الماضي على وقوع الغفران والمغفرة، وفي التعبير بهذا الأسلوب بشارة وهي "أن الذين خلطوا أعمالاً صالحة وأعمالاً سيئة يرجى لهم عفو الله تعالى"[2].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**" ثمَّ قَرَأَ:" فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (السجدة: ١٧)[3]، نلحظ أن الأسلوبين القرآني والنبوي ذكرا ما أعده الله –عز وجل– من نعيم الجنة بلفظ الماضي دلالة على حدوث هذا الفعل والانتهاء منه وأنه واقع لا محالة ويؤكد ذلك بتكرار (لا) –كما سيأتي في التوكيد–، وفائدة هذا الأسلوب –الذكر بلفظ الماضي– تقوية اليقين في النفوس بأن الجنة حق، وتعميق الإيمان بها في القلوب، والحث على السعي والاجتهاد للحصول عليها، فالنفس لمّا تعلم أن هناك شيء جاهز ينتظرها تجتهد أكثر مما لو لم تتيقن بوجود شيء ينتظرها!

كما نرى الأسلوب النبوي يستفيد من الأسلوب القرآني الذي تشبع به وتغلل في بيانه، عندما قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله تعالى:" يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (المطففين: ٦) "**حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**"[4]، كالجملة الفعلية في الآية –يقوم الناس–، وصف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك القيام وطول زمنه وشدته على الناس بجملة فعلية كالتي في الآية –حتى يغيب–، فالتعبير بالمضارع المفيد الاستمرار التجددي؛ دلالة على ثبات واستمرار دنو الشمس من الناس يوم القيامة ما داموا قياماً لله رب العالمين منتظرين الحكم والفصل بين الخلائق، ولا تغيب أو يأتي ليل يخفف عنهم حرها ولا غيم يظلهم

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرون اعترفوا بذنوبهم)، رقم الحديث (٤٦٧٤)

(2) حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، د.ط، ج٥ ص٥٨.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (يوم يقوم الناس لرب العالمين)، رقم الحديث (٤٩٣٨)

من لهيبها؛ فلا ظل إلا تحت عرشه سبحانه تعالى، أو من رحمه الله برحمته، أو اختصه بفضيلة أو عمل صالح كحفظ الزهراوان ونحوه.

**المطلب الثاني: أضرب الخبر.**

سبق معنا أن الفائدة من الأسلوب الخبري: الإعلام بما تضمنه من أحكام أو مقاصد لمن لا يعلم بهذا الخبر –أي الجاهل به– وقد تتضمن الجملة معانٍ أخرى تلتمس من سياق الخبر وقرائنه، وهذه تسمى فائدة الخبر، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**"[1] فهو يلقي الخبر لجاهلين به الغرض منه إخبارهم أن هذا النوع من النبات هو من المن الذي أنزل على بني إسرائيل، أما لو ألقي الخبر لمن يعلمه فيسمى لازم الفائدة، وهنا ليس المقصود إفادة المخاطب بالحكم وإنما يراد منه إعلام المخاطب أن المتكلم عالم بالأمر، وقد يقصد به الخروج لأغراض أخرى كالاسترحام أو التحسر أو الإقرار وما إلى ذلك من الأغراض التي تفهم من سياق الجملة، فكما في قول الصحابي عبد الله بن مسعود "إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ"[2] فهو بهذا اللفظ لا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعظمة هذا الأمر فهو صلى الله عليه وسلم عالم بهذا؛ وإنما يظهر ابن مسعود تعجبه واستعظامه ورهبته من هذا الذنب العظيم ويؤكد هذا الاستعظام بأكثر من مؤكد ليبين مدى خشيته من هذا الإثم، وكذلك في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته كيفية الصلاة عليه، عندما قال الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم "هذا التسليم"[3] فهم بذلك لا يخبرون النبي صلى الله عليه وسلم به وإنما يبينون له أنهم قد عرفوا صفة التسليم عليه وفهموها فليسوا بحاجة لبيانها أو تفصيلها وإنما هم بحاجة لتوضيح كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، لذا نستنتج من هذا اللفظ "هذا التسليم" أن الغرض منه التمهيد لطلب بيان صفة أمر تابع له، ونلحظ هذا في الاستفهام الذي أنشأوه بعد هذا الإقرار منهم بمعرفة صفة التسليم عليه صلى الله عليه وسلم، عندما قالوا "هذا التسليم. فكيف نصلي عليك؟"

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى)، رقم الحديث (٤٤٧٨)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، رقم الحديث (٤٤٧٧)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي)، رقم الحديث (٤٧٩٨)

**إذن الغرض من الخبر**: إما إفادة جاهل بحكم لا يعلمه وهو ما يسمى (فائدة الخبر)، أو إلقاء الخبر لمن هو عالم به ليعلم أنك عالم به ويسمى (لازم الفائدة).

**أسلوب التوكيد** [1]:

ثم نلحظ أن المخاطبين يختلفون في صفة تلقيهم للأخبار؛ وهم على ثلاثة أضرب: المصدق والمتردد والمنكر، ولهذا تختلف درجة توكيد الأسلوب على حسب حال المخاطب.

فكما في حديث "**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**"[2] ورد الحديث خالياً من ألفاظ التوكيد لأن المخاطب به خالي الذهن من إنكاره أو التردد في قبوله، وقوله صلى الله عليه وسلم "**اليمين على المدعى عليه**"[3]، يفرض النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته هذه القاعدة في القضاء، دون تردد منهم في قبولها أو إنكارها؛ لأنها حكم جديد لمثل هذه القضايا، والتي أصبحت أساساً للحكم بين الناس في قضايا الادعاء.

وفي تفسيره صلى الله عليه وسلم لآخر سورة النازعات عندما قال: "**بعثت والساعة كهاتين**"[4]، لم يسرد مؤكدات لهذا اللفظ فالنفوس تنتظر أي خبر عن وقت حدوثها ووقوعها وستتقبل ما يقوله لها الرسول صلى الله عليه وسلم بلا تردد أو إنكار.

وعندما سأل قومٌ النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟، أجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم إجابة خالية من التوكيد فهم ليسوا بحاجة لتأكيد هذا الأمر فمجرد سؤالهم عن هذا الأمر يدل على خلو أذهانهم من التردد أو الإنكار، فعنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه–: أَنَّ أُنَاسًا

---

(1) التوكيد في البلاغة يقصد به تقوية الحكم للجملة وتأكيده وتقريره، قال الهاشمي في جواهر البلاغة في شرحه لأضرب الخبر:" المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم" الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ط٦، ص٤٦

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى)، رقم الحديث (٤٤٧٨)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً)، رقم الحديث (٤٥٥٢)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٦)

فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فذكر حديث الرؤية، ثُمَّ قَالَ: "**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ...** الحديث"[1].

إذن يسمى هذا الخبر: الخبر الابتدائي لخلوه من التوكيد.

**أما لو كان المخاطب متردد في قبول الخبر أو منكر له،** فإنه يستلزم توكيد المضمون بمؤكد يحسم تردده ويقنعه بما يُراد منه أو عدة مؤكدات تثبت وتبرهن صحة الخبر، ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه" **لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**"[2]، فأبو سعيد لما تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبه مباشرة لما دعاه، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين له عظمة الأمر فذكر له غرضه من مناداته بألفاظ مؤكدة وبأكثر من أسلوب؛ لكون الصحابي كالمنكر في قبول الخبر، حيث إنه لم يجب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعاه، مع ورود آية من القرآن الكريم تأمر بالاستجابة لله وللرسول.

إذن المراد بالتوكيد في البلاغة: تأكيد مضمون الحكم بأداة أو أسلوب يزيد الخبر قوة وتوثيقاً في نفس المخاطب، ويفيد المضمون فضل بيانٍ واهتمامٍ به وبرهنةٍ على صدقه وصحته.

**١- التوكيد بـ (إنّ) و (أنّ):**

وللتوكيد أدوات وأساليب ذكرها العلماء في كتبهم، ورد أغلبها في أحاديث هذا الكتاب من صحيح البخاري، أشهرها "إنَّ" كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه "**فَإِنِّي**

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

**أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**"[1]، فعبد الله بن مسعود مستغرب ومتردد في قراءته القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي أُنزل عليه القرآن الكريم وهو الذي لقنهم حروفه، وعلمهم حدوده.

وفي قصة عائشة رضي الله عنها مع عمها من الرضاع لما قالت: اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْسِ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَقُلْتُ: لا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – ، فَإِنَّ أَخَاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم–:" **وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي؛ عَمَّكِ؟**" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَقَالَ:" **ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ، تَرِبَتْ يَمِينُك**"[2] فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد لعائشة رضي الله عنها ثبوت هذه المحرمية بقوله –إنه عمك–؛ لأنها ترددت في الإذن لهذا الرجل بالدخول عليها.

ثم نلحظ كيف يبين النبي صلى الله عليه وسلم شدة حياء موسى وحرصه على الستر، عندما فسر لصحابته قول الله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا". (الأحزاب: ٦٩)، فقال صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا**"[3] فيؤكد على براءة موسى– عليه السلام– مما آذاه به بنو إسرائيل، ويثبت لموسى –عليه السلام– صفة الحياء والستر.

ثم تعلِّمنا البلاغة النبوية الكريمة فناً رائعاً في الاستثارة النفسية بما يؤمن به المخاطب ويوقن به؛ ليخرج المتحدث بعد هذه الاستثارة إلى تأكيد المعنى الذي رمى إليه بخطبته فلما صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: "**يَا صَبَاحَاهْ**". فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: "**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ**

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)، رقم الحديث (٤٥٨٢)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه)، رقم الحديث (٤٧٩٦)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (لا تكونوا كالذين آذوا موسى)، رقم الحديث (٤٧٩٩)

**يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:" تبت يدا أبي لهب وتب".(المسد:١)[1] فبعد أن اطمأن صلى الله عليه وسلم إلى تصديقهم له، أكد لهم لبّ رسالته التي أرسله الله بها وسبب بعث الله له إليهم؛ ألا وهو الإنذار والتحذير من عذاب الله تعالى، ودعوتهم إلى الله وحده لإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهداية.

وأما في وصف الجنة نجد النص القرآني أو النص النبوي، كثيراً ما يأتي بأسلوب التوكيد على ما أعده الله – عز وجل– للمؤمنين من نعيم، لا لأنهم مترددين في الإيمان بها؛ ولكن لكونها غيباً عنهم ولم يروها، والنفس تصدق ما تراه أكثر مما تسمع، ففي تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ".(الرحمن: ٧٢)، نعت صلى الله عليه وسلم لصحابته رضي الله عنهم هذه الخيمة والحور التي تنتظرهم فيها، فقال:" **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ**"[2]، فاستهلال الوصف بحرف توكيد يثبت حرصه صلى الله عليه وسلم على إيصال المعنى والصورة لعقول صحابته بلفظ مؤكد موثق دقيق في الوصف والنعت، لكونه غيباً لم تطلع عليه مداركهم.

### ٢– التوكيد بالتكرار:

التكرار بصوره وأساليبه المختلفة –إما تكرار اللفظ أو تكرار النفي أو تكرار المعنى بنفي الضد– فن بلاغي رفيع، ورد في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وكلام العرب وأشعارهم، يزيد في بيان القول وتوكيده وزيادة الاهتمام به، فكما يقال: في الإعادة الإفادة!

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، رقم الحديث (٤٨٠١)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (حور مقصورات في الخيام)، رقم الحديث (٤٨٧٩)

ومن تكرار اللفظ: تكرار حرف (أن) في حديث أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟:" **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**"[1] فتكرارها توكيداً على عظمة هذه الذنوب وشناعة ارتكابها وقبحها.

ومن التكرار ما ورد في الحديث القدسي المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**"[2]، فالتوكيد هنا بتكرار النفي ليعيي الخيال عن الوصول لكُنْهِ هذه الجنة وروعتها وجمالها، فلا عين ولا أذن ولا خاطر يستطيع تصورها –نسأل الله من فضله–، ففي هذا الحديث أكد على عدم إحاطة عقول البشر بما أعده الله لهم بتكرار النفي بحرف (لا).

وكذلك في الحديث القدسي" **كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ**"[3]، كرر النفي بـ –لم يكن– تأكيداً على فظاعة هذا العمل من الإنسان تجاه خالقه وإلهه، والمخلوق لا يحق له أن يعامل خالقه بما قد يعامل به مخلوقاً مثله كالتكذيب أو الشتم، بل يتوجب على ابن آدم عبادته تعالى وتنزيهه عما قد يكون فيه انتقاصاً لذاته أو مشابهة لمخلوقاته، فلا ينبغي ممن هو في منزلة العبودية أن يقول هذا لمعبوده الذي هو المتفضل عليه أولاً وآخراً بالخلق والرزق وسائر النعم، ومن أدوات التوكيد الواردة في هذا الحديث التوكيد بـ –أمّا– "**فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فزَعَمَ أَنِّيّ لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**"، وهي أما الشرطية، تزيد الكلام فضل توكيد وتوثيق، فيؤكد –سبحانه وتعالى– هذا التكذيب وهذا الشتم ببيان وتفصيل كيفيته.

ومن أساليب تكرار النفي حديث "**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلا اللُّقْمَةُ وَلا اللُّقْمَتَانِ**"[4]، فيؤكد صلى الله عليه وسلم على أنه ليس المسكين هو الذي يسأل الناس فيعطونه فتسكته

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، رقم الحديث (٤٤٧٧)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولداً)، رقم الحديث (٤٤٨٢)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(لا يسألون الناس إلحافاً)، رقم الحديث (٤٥٣٩)

اللقيمات وترده، بل المسكين الحق هو الذي يتعفف عن السؤال ويترفع عنه، وفي هذا الحديث تكرار باللفظ والعدد (التمرة والتمرتان، اللقمة واللقمتان) للتأكيد على قلة ما قد يرد به السائل.

ومما يلحق بأسلوب التوكيد بتكرار النفي، أسلوب التوكيد بنفي الضد عن المؤَكَد له؛ كما في حديث:" **يَدُ اللَّهِ مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**"[1]، فنفي النقص عنها يؤكد امتلائها، وهذا أسلوب قوي يخاطَب به المنكرين والجاحدين وينزلون به منزلة العالم بهذا الأمر الذي لا ينكره، لكون الأدلة على المراد ظاهرة وبينة وجلية –أي الأدلة على سعة خزائن الله تعالى، فهذه الجملة مؤكدة باسميتها[2] ونفي الضد عنها.

ومن هذا الأسلوب –أسلوب التوكيد بنفي الضد– حديث ذبح الموت عند أهل الجنة وأهل النار "**خلود فلا موت**"[3]، فنفي الموت عنهم إثبات للأبدية الدائمة، وطمأنة لأهل الجنة أنه لا انقطاع لهذا النعيم–نسأل الله أن يجعلنا من أهله–، وتيئيساً لأهل النار أنه لا انفكاك من هذا العذاب –نسأل الله النجاة والسلامة منه–.

ويَتَبَيَّنُ لنا أسلوب التوكيد بالتكرار–تكرار اللفظ وتكرار النفي– جلياً في حديث الشفاعة الطويل[4]؛ ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**مَا لا يُطِيقُونَ وَلا يَحْتَمِلُونَ، أَلَا تَرَوْنَ... أَلَا تَنْظُرُونَ**" تكرار للنفي تأكيداً على أهوال ذلك اليوم، والأنبياء يكررون تأكيداً لجزعهم وانشغالهم بأعمالهم "**نفسي نفسي نفسي**" ثم يحثُّون الناس للانصراف إلى غيرهم من الأنبياء "**اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى...**" وقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم "**أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب**"، وتكرار هذه الألفاظ في هذا الحديث يأتي تأكيداً على ما سيجده الناس في هذا اليوم من الأهوال والشدائد التي تجعلهم يهرعون إلى الأنبياء طلباً لشفاعتهم، والأنبياء يذهلون عنهم وينشغلون بأنفسهم، ثم تتجلى رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(2) الجملة الأسمية جملة مؤَكَدَة؛ لأن الفائدة منها إثبات اتصاف المسند إليه بالمسند كما سبق ذكره.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

لأمته عندما يبدأ بها قبل غيرها – صلى الله عليه وسلم – ويؤكد عليها بتكرار الطلب لها، حيث أن التكرار من أقوى أساليب التوكيد إيقاعاً وأثراً في النفس.

ومن التكرار اللفظي قول النار "قط قط" في تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ". (ق: ٣٠) قال: **"يُلْقَى فِي النَّارِ،( وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**"[1]، فتكرار هذا اللفظ تأكيداً على انزجارها وامتلائها واكتفائها، وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "**فَأَمَّا النَّارُ فَلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قطْ**"[2].

### ٣– التوكيد بحرف اللام:

ومن أدوات التوكيد الواردة في هذا الكتاب –حرف اللام[3]– كما في حديث:" **لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ**"[4] يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية التثبت في الأحكام فلا يُحكم لأحد بما ادعاه بدون بينة تثبت دعواه؛ لأنه لو أُجري لكل مدع دعواه بلا دليل يثبت له؛ لاستُحلت أموال الناس ودمائهم ظلماً وجوراً، ولطمع ذوي النفوس المريضة واستبدوا وبغوا، فينتشر الفساد والقتل والخوف.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:" **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**"[5]، توكيداً باللام وبتكرارها تخويفاً وترهيباً مما ينتظر الإنسان من أهوال وشدائد في عالم البرزخ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:" والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله، وانتقامه ممَّن يعصيه، والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة، ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة ، والمراد به التخويف"[6].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٤٨)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٥٠)

(3) وتأتي غالباً في جواب لو ولولا؛ لتؤكد وجود علاقة الارتباط بين الشرط وجوابه.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً)، رقم الحديث (٤٥٥٢)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، رقم الحديث (٤٦٢١)

(6) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج١١ ص٣٢٧.

ونجد التوكيد باللام في قوله صلى الله عليه وسلم عن امرأة هلال بن أمية –التي قذفها عند رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بعدما تيقن صدق هلال وكذبها: "**لَوْلا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**"[1] يقصد بما أن حكم الله قد قضى بأنه لا يقام الحد على المتلاعنين، وإلا فإنه كان سيقيم عليها الحد ويجعلها عبرة لغيرها.

ثم نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يثبت أن هذا الدين ليس خاصاً بالعرب، وإنما قد يسَخِر الله لهذا الدين من يخدمه ويحفظه ويحميه ويجاهد من أجله، وتتحقق نبوءته صلى الله عليه وسلم في العلماء الذين سخرهم الله لحفظ السنة النبوية والقرآن الكريم واللغة العربية، فأكثرهم من الفرس كالإمام البخاري –رحمه الله–، فبينما كان الصحابة جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم نزلت عليه سورة الجمعة، فسأله أبو هريرة رضي الله عنه عن قوله تعالى: {ئر ئز ئم ئن ئى} (الجمعة: ٣)، قال: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثلاثا، وكان فيهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، فوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثمَّ قَالَ: "**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ –أَوْ رَجُلٌ– مِنْ هَؤُلاءِ**"[2].

وفي خبر أبي جهل لما قال: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "**لَوْ فَعَلَهُ لأَخَذَتْهُ الْمَلائِكَة**"[3]، فاللامات في (لئن) وفي (لأطأن) وفي (لأخذته) كلها تفيد التوكيد على اختلاف مواقعها وسياق مجيئها، ففي الأولى (لئن) أتت مع إن الشرطية ممهدة للام أخرى تأتي في الجواب لقسم مقدر، وهي اللام الثانية (لأطأن)، وأما الثالثة (لأخذته) فهي في جواب لو.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)، رقم الحديث (٤٨٩٧)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة)، رقم الحديث (٤٩٥٨)

في الاحاديث السابقة كلها اللام مع لو لتأكيد ارتباط الجملتين ببعضهما[1]، ووجدت أن أحاديث هذا الكتاب لم ترد فيه اللام للتوكيد بمفردها؛ بل تأتي معها مؤكدات أخرى كأن تأتي مع إنّ أو في جواب لو أو مع إنْ الشرطية، وسأذكرها في التوكيد الإنكاري.

**٤- التوكيد بقد التحقيقية:**

ومن أدوات التوكيد حرف (قد) وتختص بدخولها على الجملة الفعلية -أي أنها تدخل على الأفعال- وتأتي للتوكيد إذا دخلت على الفعل الماضي لأنها تفيد تحقق وقوع الأمر وحدوثه، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ**"[2]، وهذا الحديث يحتمل معنيان: "يَحْتَمِلُ أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الْعَبْدَ الْقَائِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَهُ تَوَاضُعًا وَدَلَّ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ثَانِيَ حَدِيثَيِ الْبَابِ عَلَى أَنَّ الِاحْتِمَالَ الْأَوَّلَ أَوْلَى"[3] فالنهي عن التفضيل بين الأنبياء مع ورود نصوص في القرآن والسنة تثبت أفضلية محمد صلى الله عليه وسلم على الخلق جميعاً، ولعل المقصود دفع توهم النقص عن المفضول لكونهم أنبياء جميعاً، وأما درجاتهم فقد فاضل بينهم الله عز وجل في كتابه العزيز:"

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ".(البقرة: ٢٥٣)، قال ابن كثير في الجمع بين هذه الآية وبين حديث "لا تفضلوا بين أنبياء الله"[4]: "ليس مقام التفضيل إليكم

---

(1) ابن نور الدين، **مصابيح المغاني في حروف المعاني**، ط٢، ص٢٦٨.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) إلى قوله: (ويونس وهارون وسليمان)، رقم الحديث (٤٦٠٤)

(3) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج٨ ص ١١٦

(4) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وإن يونس لمن المرسلين} إلى قوله: {وهو مليم} برقم(٣٤١٤).

وإنما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به"[1]، وأما المعنى الآخر للحديث وهو الأقرب: تفضيل المرء نفسه على يونس عليه السلام، ذكر ابن تيمية في فتاويه: "وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يفضل أحد منا نفسه على يونس بن متى- مع قوله:" فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ".(القلم: ٤٨) وقوله:" فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ".(الصافات: ١٤٢)- تنبيهاً على أولى ألا يفضل أحد نفسه عليه"[2]، لذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد أن من صدر منه هذا القول -بمعنييه- أنه قد وقع في الكذب وقد افترى شيئاً لا يجوز له القول به؛ فلا تفاضل في نبوة الأنبياء، ولا يمكن أن يصل المرء بنفسه درجة الأنبياء حتى يقارن نفسه بهم، ولهذا يثبت النبي صلى الله عليه وسلم صفة الكذب على من ادعى هذا الأمر بمعنييه.

ونجد التحقيق بقد في قوله صلى الله عليه وسلم:" **فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ**"[3] لما شرب عسلاً عند زينب بنت جحش رضي الله عنها ثم حرمه على نفسه، فيؤكد عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها أنه لن يعود لشرب العسل وأنه قد أقسم على ذلك، فسياق حال عائشة رضي الله عنها يقتضي التوكيد منه صلى الله عليه وسلم لئلا تعود لمثله.

ولحرف (قد) شواهد أخرى في هذا الكتاب إلا أنها تكون مقترنة بمؤكدات أخرى وسأوردها في التوكيد الإنكاري -إن شاء الله-.

### ٥- التوكيد الإنكاري (التوكيد بأكثر من مؤكد واحد):

الكلام الذي اجتمع فيه أكثر من مؤكِد يسمى خبراً إنكارياً؛ لأن المخاطب به ينكره أو يستبعد وقوعه أو ينفي صدقه، ومن أمثلته في هذا الكتاب قوله صلى الله عليه وسلم: "**لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ**"[4]، التوكيد باللام والنون المشددة واسمية جملة -هي أعظم السور-، فحال المخاطب ليس منكراً

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط٥، ج١ ص٣١١.

(2) ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، ط١، ج٢ ص١٣٨.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

ولكنه أبطأ في استجابته للنبي صلى الله عليه وسلم لما دعاه وحجته أنه كان يصلي، والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه يصلي ولكن الغرض الذي ناداه من أجله يهمه في صلاته فـ" لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[1]، فلزم توكيد الخطاب بأكثر من مؤكد.

ومن ذلك تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ".(البقرة: ١٤٣)، عندما قصّ إنكار الأمم لأنبيائها وشهادة هذه الأمة على الأمم السابقة" **فَيشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ**"[2] توكيداً بأنّ وقد دلالة على شدة إنكار الأمم وتصديق هذه الأمة لنبيها صلى الله عليه وسلم، كما في الزيادة التي ذكرها أبو معاوية رضي الله عنه "فيقال وما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه"[3].

وفي موضع آخر يؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على أن ما يجده الظالم من الغنى والقوة والصحة وشتى النعم إنما ذلك استدراج وإمهال وإملاء، فلمّا يحق عليه القول ويحين وعد الله عليه فإن عذابه أليم شديد:" **إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**" ثمَّ قَرَأَ:" وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ".(هود: ١٠٢)[4]، فنرى في هذا الحديث أن التوكيد إنكارياً بإنّ واللام[5]، لمناسبته

---

(1) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الأذان، بوجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، برقم (٧٥٦)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)، رقم الحديث (٤٤٨٧)

(3) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج٨ ص٢٢.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)، رقم الحديث (٤٦٨٦)

(5) وهي لام الابتداء وتسمى اللام المزحلقة لتعذر التوكيد بها في أول الكلام مع إنّ.

لحال الظالم عندما يرى نعم الله تعالى عليه فلسان حاله إنكاره بأن هذه النعم إنما هي استدراج وإمهال وإملاء!

ومن أكثر الأحاديث اشتمالاً على التوكيد وأساليبه: حديث الشفاعة الطويل عندما يقول الأنبياء" **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثلَهُ**"[1] تأكيداً قوياً على غضبه تعالى؛ بإنّ وقد والمفعول المطلق[2] وتكرار النفي، بياناً لجزع الأنبياء في ذلك اليوم وشدة غضبه عز وجل، وفي هذا الحديث توكيد بالقسم وهو من المؤكدات القوية ذات الاعتبار الكبير أينما ذكرت ولم يرد في روايات هذا الكتاب إلا في هذا الموضع "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**" وقد اشتمل هذا اللفظ على عدة مؤكدات كالقسم وإنّ، تأكيداً على امتداد عرض ما بين جانبي باب الجنة كما بين مكة وحمير باليمن أو بصرى بالعراق.

وفي تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا".(الكهف: ١٠٥) قال:" **إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**"[3]، يؤكد الحديث بإنّ واللام والوصف بالألفاظ المتعددة في ذات المعنى[4]؛ بياناً أن التفاضل يوم القيامة بالأعمال والدرجات وليس بالأجسام والعقول والقوى، ويؤكد هذا المعنى الحديث الوارد في هذا الكتاب "**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[5] مُسْتَكْبِرٍ**"[6]، وهذا الحديث كذلك تعددت فيه أساليب التوكيد: بحرف التنبيه ألا، وتكرار لفظ "ألا أخبركم"، واللام في جواب لو، وتأكيد المعنى بتعدد النعوت، فتعددت

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

(2) المفعول المطلق يفيد التوكيد، قال ابن مالك: توكيداً أو نوعاً يبين أو عدد. ابن مالك، **متن ألفية ابن مالك**، د.ط، ص٢٢.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم)، رقم الحديث (٤٧٢٩)

(4) ويعد هذا توكيداً، لأنه يقرر المعنى في النفس بعدة ألفاظ مترادفة.

(5) جواظ: الجَمُوع المَنُوع. وَقِيلَ الكَثيرُ اللَّحم المخْتال فِي مِشْيَته. وَقِيلَ القَصِير البَطِين. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د.ط، ج١ ص٣١٦.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(عتل بعد ذلك زنيم)، رقم الحديث (٤٩١٨)

الأساليب؛ لأن طبيعة النفس البشرية استصغار الضعفاء واستعظام الجبابرة الأشداء، فلما يُحكم للضعفاء بالجنة وللأشداء بالنار لا يقبله العقل إلا بتأكيد وتفنيد، وذلك ما وجدناه في هذه النص النبوي الشريف.

وفي قصة عويمر لما أعاد سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر امرأته، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:" **قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ**"(1)، مؤكداً له بقد وتكرار حرف في، لكون عويمراً كالمنكر؛ لأنه قد بدأ يداخله اليأس في أن يجد لمشكلته حلاً، فأكد له الرسول صلى الله عليه وسلم بأن القرآن قد نزل بالحكم في قضيته.

وكذلك في قصة هلال بن أمية عندما قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" **الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**". فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "**الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**". فَقَالَ هِلالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:" وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ..." فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ:" الْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ".(النور: ٦-٩) فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ**"؟ ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، وَقَّفُوهَا وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ، فَمَضَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" **أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ**". فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "**لَوْلا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**"(2)، من أكثر الأحاديث ثراءً بأساليب التوكيد، التكرار والقسم وإنّ وأنّ واللام والنون؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

على تعظيم هذه الشريعة للعرض والشرف، والتخويف من القذف بالزنا بلا بينة ظاهرة، ووجوب التثبت والتيقن والتروي قبل إلقاء التهمة والرمي بالفاحشة.

وفي حديث قصة سودة رضي الله عنها التي روتها عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا وَكَانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً لا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا سَوْدَةُ، أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ، قَالَتْ: فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ، فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ، وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ، فَقَالَ: **"إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ"**[1]، تؤكد عائشة رضي الله عنها سرعة نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ، وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ) إنّ واللام ونفي الضد، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم بإن وقد، على الإذن لهن بالخروج لقضاء حوائجهن.

وفي قصة زيد بن أرقم مع عبد الله بن أبي بن سلول، فلما أنكر المنافقين قولهم وحلفوا على انكارهم، كذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت سورة المنافقين فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها وقال:" **إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**"[2]، وسياق الحال تقتضي التوكيد بأكثر من أداة رداً على الإنكار السابق.

وفي حديث التحريم[3] في قوله صلى الله عليه وسلم:" **لا، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**" تضمن هذا السياق التوكيد بعدة

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) إلى قوله: (إن ذلكم كان عند الله عظيماً)، رقم الحديث (٤٧٩٥)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) الآية، رقم الحديث (٤٩٠٠)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

مؤكدات، وذلك حينما تكرر على النبي صلى الله عليه وسلم نفس السؤال من أزواجه" أكلت مغافير؟"، أجاب صلى الله عليه وسلم عليهن بجواب إنكاري مؤكد بلكنّ وقد والقسم الذي أخبر عنه.

هذه بعض الظواهر التوكيدية، فباب التوكيد واسع وظواهره عديدة وأساليبه متنوعة، والهدف أننا نطلع بشكل عام على أساليب التوكيد وألفاظه وأدواته وأغراضه في هذا الكتاب، باعتباره ضرباً من أضرب الإخبار وفناً من فنون الكلام.

في ختم هذا المبحث نلحظ العلاقة المتينة بين اللفظ القرآني واللفظ النبوي، فمعاني الجمل الخبرية التي أتت بها الأحاديث النبوية بينت اللفظ القرآني وفصلت فيه بأسلوب بسيط وسلس، وكأن الجمل القرآنية متحدة مع الجمل النبوية، بما لا يدع مجالاً للتأويل أو تخمين المراد منها، ولا غرابة فكلاهما وحي يوحى، والسنة مبينة للقرآن، فلذا نرى كيف يستقي الأسلوب النبوي الكريم من البيان القرآني الحكيم المعجز.

ونجد الألفاظ تساوي المعاني المقصودة منها، فحينما تقتضي السياقات الإثبات والتوكيد، يذهلنا الأسلوب النبوي الرفيع بالدقة اللفظية بلا زيادة أو نقصان، وتنوع هذه الأساليب والألفاظ بما يناسب مقتضى الحال والسياق، فكل أسلوب في موضعه الأنسب له؛ فلو استبدلنا أسلوب توكيد بأسلوب توكيد آخر لتبين لنا الفرق جلياً، وكذلك نلحظ الأثر النفسي العميق الذي يتركه النص المؤكد في النفس، ومدى وقعه في السمع والقلب، فلو استعرضنا النص بدون التوكيد لظهر لنا ضعف تأثيره في النفس وخفة وقعه في القلب.

## المبحث الثاني: أساليب الإنشاء.

الكلام في البلاغة على ضربين: إما خبر يحتمل إيجاباً أو سلباً، وإما إنشاء لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، والإنشاء "الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه"[1]، وهو على ضربين: طلبي وغير طلبي.

فالطلبي هو: استدعاء شيء غير واقع أثناء طلبه، ويقع بخمسة أساليب: الأمر والنهي والنداء والتمني والاستفهام. أما الإنشاء غير الطلبي: فهو ما ليس فيه استدعاء ولا إخبار، وله عدة صيغ من أهمها: التعجب والرجاء والقسم والمدح والذم وأساليب العقود.

وفيما يلي سنتحدث عن أساليب الإنشاء الطلبي ونبين أغراضها البلاغية ومعانيها السياقية.

### المطلب الأول: أساليب الإنشاء الطلبي في التفسير النبوي.

#### ١- الأمر:

يعرفه البلاغيون بأنه: طلب إجراء -قول أو فعل- على وجه الاستعلاء والإلزام، وله أربع صيغ: الأمر بفعل الأمر، والأمر بالمضارع المقترن بلام الأمر، والأمر باسم فعل الأمر، والأمر بالمصدر النائب عن فعل الأمر[2].

هذا هو المعنى الحقيقي للأمر، ولكن قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تُلتمس من السياق والقرائن، كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود: "**اقرأ علي**"[3]، فالمعنى هنا الأمر -طلب القراءة- على وجه الاستعلاء والإلزام، فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى:" فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا".(النساء: ٤١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **أمسك**" أمره بالتوقف عن القراءة، وفيه دلالة على استحباب الوقوف لتدبر الآيات والتأمل في معانيها

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص٣٥.

(2) علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة**، د.ط، ص١٧

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)، رقم الحديث (٤٥٨٢)

ومقاصدها، وأما في دعائه صلى الله عليه وسلم على قريش: " **اللهم أعنِّي عليهم بسبعٍ كسبع يوسف**"[1]، فلفظ –أعنِّي– فعل أمر ولكنه خرج عن ظاهره؛ إذ هو طلب إلا أنه ليس على وجه الاستعلاء، بل على وجه الدعاء والتضرع، وهو خاص من المخلوق لخالقه، وكما في دعائه صلى الله عليه وسلم للأنصار" **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ**"[2]، وفي هذا الأمر معانٍ غير الدعاء لهم، كالمبالغة في إكرامهم وبيان فضلهم ومكانتهم والنهي عن التنقص منهم.

ومن الدعاء حديث أنس رضي الله عنه عندما قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" **اللَّهُمَ( رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**"[3]، ففي هذا الدعاء طلب الحسنات في الدنيا والجنة في الآخرة وطلب النجاة من النار، طلبُ المخلوق من خالقه على وجه التوسل والابتهال.

كما نلحظ معاني التوسل والاستغاثة المشوبة باليأس والخذلان في قول اليهود والنصارى يوم القيامة لله عز وجل" **عطشنا ربنا فاسقنا**"[4].

ومن المواضع التي خرج فيها الأمر عن معناه الأصلي، فعل الأمر –قولوا– في حديث" **لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا:" آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**"[5]، فالنبي صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه لما يقولونه عندما يقص عليهم أهل الكتاب أحاديثهم وأخبارهم، وفيه كذلك توجيه إلى الاعتصام

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٧٧٤)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقون لا يفقهون)، رقم الحديث (٤٩٠٦)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) الآية، رقم الحديث (٤٥٢٢)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، رقم الحديث (٤٤٨٥)

بالكتاب والسنة وبالتوحيد الخالص لله وحده[1]؛ فالغرض هنا الإرشاد والتوجيه للصحابة وللأمة جمعاء في كيفية التعامل مع نصوص أهل الكتاب.

ونجد في أكثر من موضع خاصة في هذا الكتاب قول" **اقرءوا إن شئتم**"[2] سواء من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم أو من لفظ الراوي، وقد بحثت عن شرح هذا اللفظ إلا أنني لم أجد من تعرض له وهذا يدل على أن الشراح أخذوه على ظاهره، والمتبادر إلى الذهن أن المعنى المراد من هذا الأمر –اقرءوا– ليس الأمر بحد ذاته وإنما الإثبات والبرهنة على ما سبق قوله، والاستدلال للعظة والعبرة، وفي القرينة اللفظية الواردة معه أحياناً –إن شئتم– تخييراً، وليس للتخيير بقدر ما هو تأكيدٌ على صدق المقال، وإن كنت أنت –أيها السامع أو القارئ– تريد مزيداً من تقوية الكلام فاقرأ قوله تعالى، أي إذا كان لديك شك أو تردد في ما قلته فاقرأ، وهذا من باب تأكيد الكلام بإنزال خالي الذهن والمنكر منزلة المتردد في قبول الخبر.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم" **فاحذروهم**"[3]، أمر فيه إرشاد وتوجيه للمسلمين عندما يرون أو يسمعون الذين ذكرهم الله في الآية –وهم الذين في قلوبهم زيغ وانحراف– أمرٌ الغرض منه: "التحذير من الإصغاء إِلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ مِنَ الْقُرْآنِ"[4].

---

(1) يستنتج هذا التوجيه من إيراد البخاري لهذا الحديث، أخرجه في **الصحيح**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، برقم (٧٣٦٢)

(2) وردت في ثلاثة مواضع في هذا الكتاب: في حديث "ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ..."، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(لا يسألون الناس إلحافاً)، رقم الحديث (٤٥٣٩)، وحديث "يؤتى بالرجل العظيم السمين ..." أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم)، رقم الحديث (٤٧٢٩)، وحديث "خلق الله الخلق ..."، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

(4) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج٨ ص٥٩.

وتأتي رحمة الله وفضله لأولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً بأمرهم بالوقوع في نهر عفو الله ومغفرته وكرمه، في الرؤيا [1] التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه" **اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ**"، ففي هذا الأمر معنى الإحسان والامتنان من الله تعالى لهؤلاء.

أما في الحديث القدسي "**أنفق أنفق عليك**"[2] نرى الأمر بالإنفاق وفيه معانٍ غير مجرد الأمر من أهمها الحث على الإنفاق في أوجه الخير عامة [3]، والوعد بأن العوض سيكون من الله تعالى مباشرة[4]، وفي الأمر بهذا اللفظ إشعار بأن الإنسان مستخلف في المال وأن الله جعله في يد ابن آدم ليختبره به ويبتليه فيه، فمن كان علمه بالله تعالى قوياً، وثقته فيه عز وجل مطلقة فلن يخشى الفقر بالإنفاق، وفي هذا الأمر بالإنفاق والوعد بالإخلاف حث عظيم على السخاء والكرم والجود.

ثم نقف مع حديث الشفاعة الطويل[5] وصيغ الأمر الواردة فيه والمعاني المستنبطة منها، وأولاها قول الناس بعضهم لبعض "**عليكم بآدم**" فيه أمر باسم الفعل –عليك– الغرض منه التوقع والتطلع لنيل الشفاعة، ثم نرى في قول الناس للأنبياء "**اشفع لنا**" التماساً وترجياً، وفي قول الأنبياء "**اذهبوا إلى غيري**" إرشاداً وتوجياً للناس بالذهاب إلى من يراه ذلك النبي أنه أعلى منه منزلة، وفي القول لمحمد صلى الله عليه وسلم "**ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، أدخل من أمتك...**" أمرٌ فيه تكريم وتشريف له صلى الله عليه وسلم وإذن بالشفاعة للخلق.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرون اعترفوا بذنوبهم)، رقم الحديث (٤٦٧٤)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(3) "وَفِي إِطْلَاقِ النَّفَقَةِ وَعَدَمِ تَقْيِيدِهَا مَا يَقْتَضِي أَنَّ الْحَثَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ مَخْصُوصٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ". العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، **طرح التثريب في شرح التقريب**، د.ط، ج٤ ص ٦٨.

(4) ليس شرطاً أن يكون العوض من جنس الإنفاق؛ فالعوض قد يكون أجر أو رزق أو توفيق أو ذكر حسن ونحوه.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

ثم نلحظ في قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعدما تلاعن عويمر وزوجته "**انظروا**"[1] أمر بتتبع هذه المرأة وملاحظة الذي سيولد لها في لونه وصفة خِلقَتِه، وفي هذا دلالة على الاعتداد بالشبه "فجعل الشبه دالا على نفيه منه"[2]، وفي قصة هلال بن أمية وامرأته "**أبصروها**"[3]، "أَمْرٌ مِنَ الْإِبْصَارِ أَيِ: انْظُرُوا وَتَأَمَّلُوا فِيمَا تَأْتِي بِهِ مِنْ وَلَدِهَا"[4]، في الحديثين أوامر؛ الغرض منها الحث على التثبت والتأكد من صدق عويمر وهلال، ويستنتج من هذين الأمرين من الرسول صلى الله عليه وسلم أن المرأتين كانتا حال الملاعنة قد حملتا؛ وإلا كيف يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالنظر في شكل ما سيولد منهما؟، ونجد كذلك في قصة هلال أمره النبي صلى الله عليه وسلم بدايةً بإحضار ما يثبت قذفه لامرأته "**البينة وإلا حد في ظهرك**" أمر بالمصدر –البينة– ناب عن فعل الأمر –بيّن– أو على تَقْدِير فعل أمر –أحضر الْبَيِّنَة، وهذا الأمر تخييراً له بين الإثبات أو إقامة حد القذف عليه؛ الغرض منه التعظيم والتهويل لقذف المحصنة والادعاء عليها بلا دليل أو برهان.

ثم يستوقفنا لفظ –بلْه– في قوله صلى الله عليه وسلم "**بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**"[5] قال عنه ابن نور الدين في مصابيح المغاني: "وأما" بلْه" فتأتي على ثلاثة أوجه: إحداها: اسم فاعل كـ" دع"، وثانيها: اسم مرادف لـ" كيف"، وثالثها: بمعنى" الترك"[6]، وقد ذكر ابن حجر معانيها بالتفصيل نقلاً عن الخطابي[7]، ولعل هذا القول بأنه أقرب إلى الصواب فسياق الحديث يدل على هذا المعنى –أي معنى الترك– قال بدر الدين العيني:" قَوْله: (بله) ، بِفَتْح الْبَاء الْمُوَحدَة وَسُكُون اللَّام وَفتح الْهَاء: مَعْنَاهُ دع الَّذِي أطلعْتُم عَلَيْهِ"[8]،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

(2) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج٩ ص٣٥٦.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧).

(4) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، ج٦، ص٤٢٢.

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(6) ابن نور الدين، **مصابيح المغاني في حروف المعاني**، ط٢، ص١٥٢

(7) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج٨، ص٣٧٦

(8) بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ط١، ج١٩ ص١٦٣.

والمعنى من هذا الأمر هو تقليل ما قد اطلعوا عليه من نعيم الجنة في الكتاب والسنة وأن الذي لم يطلعوا عليه أكثر وأكبر وأعظم.

وأما في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها "**ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ**"[1] الأمر –ائذني– الغرض منه الإباحة لعائشة رضي الله عنها بالإذن لذلك الرجل ليدخل عليها لكونه عمها من الرضاعة.

وتتعدد الأوامر في قوله صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**"[2]، فقوله –فليقل– فيه أمر لتجديد الإيمان وتداركه؛ لأن الحلف بغير الله شرك، وقوله –فليتصدق– أمر لتكفير الذنب الذي دعا إليه صاحبه، وقوله– تعالى– بمعنى الأمر أي طلب المشاركة في لعب القمار.

ثم نجد الأمر بمعنى الفرض والوجوب في قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة عليه فأجابهم بلفظ "**قولوا**"[3] قال الخطابي في معالم السنن: "فقوله أمرتنا أن نصلي عليك يدل على وجوبه لأن أمره لازم وطاعته واجبة. وقوله قولوا اللهم صل على محمد أمر ثان يحب ائتماره ولا يجوز تركه"[4].

وبهذا تنتهي أساليب الأمر، وننتقل لقسيمه: أسلوب النهي، وأغراضه.

**٢– النهي:**

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه)، رقم الحديث (٤٧٩٦)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (أفرءيتم اللات والعزى)، رقم الحديث (٤٨٦٠)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي)، رقم الحديث (٤٧٩٨)

(4) الخطابي، **معالم السنن**، ط١، ج١ ص٢٢٧.

النهي في الأصل: "ضد الأمر، وهو قول القائل لمن دونه «لا تفعل»"[1] ويعرفه علماء البلاغة بأنه: التحريم، وهو طلب الامتناع عن شيء –فعل أو قول–، ويكون استعلاءً مع الأقل والتماساً مع النظير ودعاءً مع الخالق، وله صيغة واحدة هي المضارع المجزوم بلا الناهية [2].

ومن أروع الأمثلة لبلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في النهي قوله عن أخبار بني إسرائيل:" **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**"[3] ففي هذا اللفظ معانٍ أخرى غير النهي تبرهن على علو فصاحته وبيانه صلى الله عليه وسلم؛ فالتضاد في هذا النهي يدل على وجوب التوقف فيما يأتي من اليهود والنصارى في كتبهم، قَالَ الْخطابِيّ: "هَذَا الحَدِيث أصل فِي وجوب التَّوَقُّف عَمَّا يشكل من الْأُمُور فَلَا يقْضِي عَلَيْهِ بِصِحَّة أَو بطلَان وَلَا بتحليل وَتَحْرِيم"[4]، وقال الحافظ ابن حجر: "أي: إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقا، فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه"[5]، فنلحظ أن الغرض من هذا النهي التسوية في قبول الأخبار عن بني إسرائيل فلا تصديق ولا تكذيب إلا ما وُجد له أصل في الكتاب أو السنة.

ومن النواهي الواردة في هذا الكتاب، قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في قصة التحريم[6] "**لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**" وفي هذا اللفظ معنى الحث على حفظ السر مراعاة لمشاعر الزوجة الأخرى التي شرب عندها العسل.

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص ٢٠٨

(2) الفرق بين لا الناهية ولا النافية يعود للمعنى، فإن كانت للنهي فالفعل مجزوم بعدها، وإن كانت للنفي فالفعل مرفوع بعدها ويصح دخولها على الاسم ودخول حرف الجر عليها، خلاف الناهية فلا تدخل إلا على المضارع فقط، الناهية: أسلوب إنشائي، النافية: خبري.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، رقم الحديث (٤٤٨٥) .

(4) نقله شراح الحديث عن الخطابي في أكثر من موضع، منهم: حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، د.ط، ج٥ ص٣٥.

(5) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج٨ ص٢٠.

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

ونلحظ في نهاية هذا الأسلوب أن المعنى الحقيقي للنهي هو: التحريم، إلا إذا وردت قرينة تفيد معنى غير ذلك، ومما يُلحظ قلة ورود النهي في اللفظ النبوي عامة مقابلة بالأمر، فالنهي فيه تعسيراً وتشديداً وحصراً في معنى النهي –غالباً–، خلاف الأمر؛ إذ فيه سعة وسماحة وندباً.

**٣– الاستفهام:**

وهو: "طلب العلم بشيء مجهول لم يكن معلوماً من قبل"[1]، وقد يخرج عن هذا المعنى الأساسي إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق والقرائن، وبلاغة المعاني الاستفهامية من أروع ما يستخدم في إيصال المعاني إلى العقل والتعبير عن المفاهيم بطرق استثارية للفكر والتأمل، ويرِدُ الاستفهام بأدوات خاصة تدل على السؤال، وهي إحدى عشر أداة: الهمزة وهل وما ومن ومتى وأيان وكيف وأين وأنى وكم وأي. لكل أداة معنى خاص وموضع تستعمل فيه يرجع فيها لكتب النحو والبلاغة.

وقد ورد السؤال كثيراً في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغالبه بمعانٍ غير المعنى الأساسي للاستفهام، فمن الاستفهام الوارد على معناه الأصلي قول الملائكة لبعضهم البعض بعد زوال الفزع عن قلوبهم بعد سماع الوحي **"ماذا قال ربكم؟"**[2]، فالمعنى هنا طلب العلم بما قاله جل وعلا "لأنهم سمعوا قولاً ولم يفهموا معناه كما ينبغي لفزعهم"[3].

وأما الخروج عن المعنى الأصلي للاستفهام، فمنه السؤال الوارد في حديث تفسير قوله تعالى {**يبى ذٰ رٰ ىٰ ۓ ۓ ﷺ ئر ئز**} (البقرة: ١٤٣)، ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**هل بلغت؟ هل بلغكم؟**"[4] استفهام؛ والله يعلم– وهو علام الغيوب– أن أنبيائه قد بلغوا الرسالات، ولكن الاستفهام هنا للتقرير وإقامة الحجة على هؤلاء الأمم، فسبحانه لا يظلم أحداً مثقال ذرة، وفي هذا الحديث كذلك استفهام" **من يشهد لك؟**" فيه

---

([1]) علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة**، د.ط، ص١٩٤

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(3) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط٧، ج١٠ ص٤٢٩.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)، رقم الحديث (٤٤٨٧)

طلب تعيين الشهود على أنه قد بلغ، وفي هذا السؤال تشويقاً للصحابة وفي إجابته تكريماً ومزية لهذه الأمة التي اختصها الله جل جلاله بأن تكون وسطاً شاهدة على الأمم يوم القيامة بما أعلمهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم من أخبار الأمم السابقة وإيمانهم بذلك.

ثم نجد معاني التعجب والاستغراب والمعاتبة عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة "**يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟**"[1] في هذا الاستفهام يتعجب النبي صلى الله عليه وسلم من مقولة هذا المنافق، ويستغرب من ردة فعل سعد بن عبادة تجاه ما فعله ذلك المنافق وهو من عشيرته، ويعاتبه على هذا التصرف تجاهه، ليأتيه بعد ذلك الجواب اللطيف الحكيم من سعد رضي الله عنه، ويظهر بعدها جلياً مدى صبره صلى الله عليه وسلم وتحمله في سبيل الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته.

ويأتي الاستفهام بمعاني التقرير والتوبيخ والتقريع والأمر في حديث الرؤية[2] ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**من كنتم تعبدون؟**" "السؤال لتبكيتهم، وتقريرهم بما يستحقون به العذاب، وهو عبادتهم لغير الله"[3]، وفي "**ماذا تبغون؟**" تقريع وتوبيخ وإذلال، إذ إن من أقسى العذاب السؤال عما تشتهيه النفس لمنعها منه، ثم يؤمرون بدخول النار بلفظ "**ألا تردون؟**" الاستفهام بمعنى الأمر؛ حيث إنهم طلبوا السقيا فيؤمرون بالورود" **فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ**"، وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "**ماذا تنتظرون؟**" أمر فيه امتحان وابتلاء لتلك البقية التي كانت تعبد الله وحده "ليتبين ثباتهم وصدقهم"[4].

ومن معاني التقرير ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم" **أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟**"[5]، إذ فيه تنبيه على نفي النقص بسبب كثرة الإنفاق، وتنبيه على كثرة ما قد أنفقه تعالى منذ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً)، رقم الحديث (٤٥٦٦)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١) .

(3) الغنيمان، **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، ط١، ج٢ ص١١٥

(4) الغنيمان، **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، ط١، ج٢ ص١١٦

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

خلق السموات والأرض، وفيه كذلك تكثير لما في خزائنه تعالى من الرزق، قال ابن حجر: "قوله" أرأيتم ما أنفق" تنبيه على وضوح ذلك لمن له بصيرة"[1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم لقريش:" **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**"[2]، يقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على تصديقهم له وثقتهم في ما يخبرهم به، وهذا الأسلوب التقريري من أقوى الأساليب في إقناع المخاطب بمضمون السؤال وما بعده وإقراره على ذلك.

ومن معاني التقرير كذلك، قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين يستمعون للكهنة والسحرة وعندما يصدق تكهنهم وتنبؤهم يقول الذين يصدقونهم:" **أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟**"[3] فهم يحاولون تقرير صدق ادعاء هؤلاء الكهنة وإثبات علمهم للغيبيات!

ثم نجد معاني التشويق والعرض والأمر والاستعطاف في استفهامات حديث الشفاعة[4]، فلما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه "**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" يتبعه مباشرة باستفهام يشوقهم لبقية الأحداث في هذا الحديث فيقول "**وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟**" لزيادة جذبهم ولفت انتباههم لما سيقوله لهم، وأما في قول الناس لبعضهم بعضاً "**أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟**" ففيه تعريض بحالهم وما هم عليه من الهم والكرب، ثم نستشف معنى الأمر في قولهم –ألا تنظرون؟– أي: تأملوا وابحثوا عمن يشفع لكم عند ربكم؛ لتستريحوا من هذا الكرب، وحينما يعرضون حالهم على الأنبياء فيقولون "**أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟**" يظهر جلياً معنى الاستعطاف والاسترحام بالتعريض بالحال، وهو معنى مناسب لحال الناس والأنبياء يوم القيامة.

ثم بعد أن تنقضي أهوال يوم القيامة، ويحاسب كلٌ على ما عمل، فينجو أهل الجنة ويدخلونها، ويقع أهل النار فيها، "**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ**

---

(1) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج١٣ ص٤٠٦.

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، رقم الحديث (٤٨٠١)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

**وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ"**[1]، فالسؤال –هل تعرفون هذا؟– تنبيهاً لهم ليعرفوه ويتيقنوا منه؛ لأنه تجسيدٌ جديد لشيء يؤمنون به من قبل، لكنهم لم يعرفوا له هيئةً أو شكلاً، فالغرض: بيان أهمية اطلاعهم على ما سيؤكد لهم الخلود فيما هم فيه.

ويضع النبي صلى الله عليه وسلم للقضاة ومن يحكم بين الناس قاعدة تربوية رائعة، وذلك عندما قال لهلال بن أمية وزوجته "**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟**"[2] ففي هذا الاستفهام نصيحة وموعظة للزوجين لحثهما على التوبة وعدم الاستمرار في الملاعنة حتى لا يقع أحدهما في معصية الكذب، لذا يشرع للقاضي تذكير المتخاصمين وحثهما على التوبة وتذكيرهما بالله تعالى وتعظيم اليمين، بأسلوب حكيم ولطيف، كما في هذا الحديث.

ويذهلنا الأسلوب النبوي عندما يجيب على السؤال بسؤال آخر يثير به في عقل السائل التفكر والتأمل في قدرته تعالى وأن من بدأ الخلق أول مرة وابتدعه قادر على إعادة الخلق على هيئة أخرى؛ فعندما سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسؤال آخر: "**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**"[3]، وفي هذا الأسلوب الاستفهامي: نفي عجزه تعالى وإثبات قدرته المطلقة جل جلاله.

ويقابلنا الأسلوب التعليمي الرفيع في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة لما أبت أن تأذن لأفلح أخي أبي القعيس لما قال لها: "**وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي، عَمَّكِ؟**"[4] يريد صلى الله عليه وسلم أن يعلمها الحكم

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) الآية، رقم الحديث (٤٧٦٠)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه)، رقم الحديث (٤٧٩٦)

تدريجياً؛ فيستفهم منها عن سبب منعها لأفلح من الدخول عليها، ثم يأمرها بعد أن تجيب عليه بالإذن له، فالغرض من هذا الاستفهام: الاستدراج للتعليم، وإلا فقد كان يستطيع تبيين الحكم لها مباشرة دون سؤال وانتظار إجابة.

وفي قول الله جل جلاله في الحديث القدسي [1]" **أين ملوك الأرض؟**" تجتمع معاني التعظيم والتمجيد والإجلال لله عز وجل، ومعاني التحقير والتهكم والإهانة لمن كانوا يظنون أنهم كانوا يملكون شيئاً في الأرض ويتجبرون ويتغطرسون، فكل شيء ما خلا الله باطل.

وفي قوله جل جلاله للرحم لما استعاذت به من القطيعة:" **أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟**"[2] نجد معاني الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، فالوعد بالرحمة والأجر والتوفيق لمن يصل رحمه، والوعيد باللعن والعذاب لمن يقطع رحمه، كما في مواضع أخرى من الكتاب والسنة، "من وصله الله، وصل إلى كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، ولا بد أن تكون نهايته مجاورة ربه في الفردوس؛ لأن الوصل لا ينتهي إلا إلى هناك فينظر إلى وجه ربه الكريم. ومن قطعه الله فهو المبتوت المقطوع مع عدو الله الشيطان الطريد الرجيم، ولو أراد الخلق كلهم صلته ونفعه، لم يفده ذلك"[3].

وحينما قالت الجنة لما تحاجت هي والنار:" **مَا لِي لا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟**"[4] تتبين معاني الشكوى من تدني المكانة الدنيوية لساكنيها، وأنها تظن هذا من وضاعة منزلتها عند الله تعالى، إلا أن الجواب يأتي بالحقيقة التي تثبت أن الجنة رحمة ومنة من الله عز وجل يهبها للمتواضعين لربهم المتذللين له، وأن المنازل عند الله جل جلاله ليست بالجاه والمال والجبروت، بل بالعمل الصالح والخضوع والتذلل له سبحانه.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)، رقم الحديث (٤٨١٢)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(3) الغنيمان، **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، ط١، ج٢ ص٣٨٥

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٥٠)

ويشوق النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ويجذب انتباههم إلى غيب يتنظرون عنه أي خبر –أهل الجنة وأهل النار– فلما يقول لهم "**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ ... أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟**"[1] فإنه يستثيرهم للاستماع له، ويستميلهم إلى مضمون خبره، فالتشويق والإثارة هي الغرض من هذا السؤال.

ويتعجب صلى الله عليه وسلم ويتهكم من الذين يضحكون من الضراط فقال: "**لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟**"[2]، فكيف يضحك المرء من شيء يفعله كل إنسان، فالرسول صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ يتعجب من ذلك، ويعاتب فاعله، بل قد تضمن معنى النهي عن هذا الفعل لورود نصوص أخرى تذمه وتنهى عنه [3].

ونختم هذا الأسلوب الإنشائي باستخبار النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام، فلما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال:" **أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ**"[4]، فالنبي صلى الله عليه وسلم يطلب من جبريل إخباره عن ماهية ذلك النهر الغريب، وتظهر كذلك معاني الدهشة والانبهار في هذا السؤال، يدل على ذلك الوصف الذي سبق الاستفهام.

ختام هذا الأسلوب نلحظ أن الاستفهام تالياً للأمر في كثرة استخدامه في التفسير النبوي للقرآن الكريم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على بلاغة وفصاحة هذا الأسلوب، وأثره في تعميق المعاني واستثارة الأفكار وجذب العقول، فغالب الاستفهامات الواردة لا تحمل معنى الاستخبار وطلب الإعلام، بل تعددت معانيها وأغراضها دلالة على ثراء هذا الأسلوب وغزارة المعاني التي يولدها ويعبر عنها.

**٤– التمني:**

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(عتل بعد ذلك زنيم)، رقم الحديث (٤٩١٨)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٤٢)

(3) ثبت عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه أنه قال: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يضحك الرجل مما يخرج من الأنفس) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ) رقم الحديث (٦٠٤٢)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٦٤)

"طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً"[1]، هذا هو معناه اللغوي، أما عند البلاغيين: فالتمني طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله لكونه مستحيلاً أو بعيد المنال على ذات المتمني، وأما إن كان يرجى حصوله فيعبر عنه البلاغيون بالترجي لإمكانية الحصول عليه، ولذلك جعلوا أدوات التمني على هذا التقسيم؛ فـ" لعل وعسى" للترجي، و" ليت" للتمني، وهي الأداة الأصلية للتمني، وله ثلاث أدوات فرعية، هي: هل ولو ولعل[2].

وقد ورد التمني في التفسير النبوي ولكن بغير أداته الأصلية، منها قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية وزوجته "**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟**"[3] ولسان حاله صلى الله عليه وسلم يقول: أحدكما كاذب لا محالة؛ لذا لعله يعترف ويتوب قبل أن يقع في الذنب!، وبعد أن ولدت امرأة هلال وأتت به على الوصف الذي ذكره صلى الله عليه وسلم من تصديق هلال قال صلى الله عليه وسلم متندماً على الماضي "**لَوْلا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**" تمنى لو أقام عليها الحد، ومما يعضد أن فيه معنى التمني، إيراد البخاري رواية شبيهة بهذا اللفظ في كتاب التمني في باب ما يجوز من اللو:" لو كنت راجماً امرأة بغير بينة"[4].

وتأتي لعل بمعنى إمكانية وقوع الشيء ولكنه مستبعد ومستغرب، وذلك حينما وعظ النبي صلى الله عليه وسلم في النساء فقال: "**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ يَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ**"[5]، فهذا شيء متوقع أن الرجل سيضاجع زوجته؛ ولكنه "مُسْتَبْعَدٌ مِنَ الْعَاقِلِ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ مِنَ الضَّرْبِ الْمُبَرِّحِ وَالْمُضَاجَعَةِ"[6]، وفي هذا النص يتبين شدة حاجة الرجل إلى امرأته؛ فلذا لو

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص٥٩.

(2) علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة**، د.ط، ص٢٠٧، بتصرف.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(4) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو وقوله تعالى: {لو أن لي بكم قوة}، برقم (٧٢٣٨)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٤٢)

(6) نقله علي القاري عن الطيبي، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط١، ج٦ ص٣٥٨.

ضربها ضرباً مبرحاً، ثم ذهب عنه الغضب، فرغب فيها! حينها يتمنى لو لم يضربها ويهنها؛ فالمعاشرة تحتاج لنفس مقبلة منشرحة، وأنى يحدث هذا بعد الضرب والإهانة؟!

وهكذا نلحظ عدم ورود التمني بمعناه الأصلي في هذا الكتاب وربما ذلك؛ لأن التمني كما يقول الناس (رأس مال المفاليس)، والنبي صلى الله عليه وسلم يفوض أمره كله لله، ويتوكل عليه ويرجوه حق الرجاء، فليس في قاموس أساليبه اللفظية كثرة التمني والتندم، إلا ما كان على وجه تعليم الأحكام وتربية الأمة.

**٥- النداء:**

وهو "طلب الإقبال بحرف ناب مناب أدعو، وله ثمانية حروف: الهمزة، وأيّ، ويا، وآي، وأيَا وَهيا، ووا، (الهمزة وأي) ينادى بها القريب والبقية ينادى بها البعيد، وقد تستعمل أدوات القريب للبعيد والعكس لأغراض بلاغية ونكت فنية، تستنتج من السياق وقرائن الأحوال[1].

ومن ذلك نداء الصحابة في كثير من المواضع والأماكن والأحداث "**يا رسول الله**" ينادونه بأسلوب النداء البعيد، مع أنه صلى الله عليه وسلم يكون قريباً منهم حين النداء وذلك دلالة على استعظام مقامه صلى الله عليه وسلم في نفوسهم، وجلالة قدره عندهم، وعلو منزلته بينهم، حتى أنهم كانوا لا يستطيعون رفع أبصارهم إليه؛ مهابة توقيراً واحتراماً.

ومن النداءات في هذا الكتاب قوله صلى الله عليه وسلم في جواب نوح عليه السلام "**لبيك وسعديك يا رب**"[2] فلفظ -يا رب- فيه التعظيم والإجلال والاعتراف بالربوبية والألوهية، خاصة أنه ورد بعد -لبيك وسعديك- "إجابة بعد إجابة، وإسعاداً بعد إسعاد، فيكرر الإجابة مرتين للتأكيد، على أنه

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة**، د.ط، ص٢١١، بتصرف.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)، رقم الحديث (٤٤٨٧)

طوع أمره"[1]، وكذلك في قول الرحم "**بلى يا رب**"[2] فيه التأكيد على الربوبية والألوهية بنداء الرب بعد الإجابة عليه، وفيه كذلك معنى الترجي -ترجي الرحم- أن يجيبها الله جل جلاله لما استعاذت به من القطيعة.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**يَا سَعْدُ**"[3] نداء بأسلوب البعيد وهو جالس عنده، لاستبعاد سكوت سعد عن ابن أبي سلول وهو من قومه، فهو يستبعد هذا التصرف من سعد فيناديه بأداة البعيد وليكون ذلك أشد في المعاتبة، وليشعره بهذا الأسلوب بأنه كالمتغافل عما قاله ذلك المنافق، وقد وردت روايات أخرى في صحيح البخاري بلفظ "أي سعد"[4] وإن دلت على شيء فإنما تدل على التودد فندائه بأسلوب القريب- وهو جالس عنده- يزيد من الألفة والأنس والمحبة.

ونجد معاني الاستغاثة والطلب في نداء الناس للأنبياء يوم القيامة "**يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا محمد**"[5] فيه إشارة إلى علو منزلة هؤلاء الأنبياء ورفعة درجتهم عند الله حيث اختصهم الناس يوم القيامة بطلب الشفاعة دون غيرهم، فلزم ندائهم بهذا الأسلوب لإنزالهم منازلهم ورُتَبِهم.

ونلحظ معنى الإغراء في قول المنادي "**يا أهل الجنة، يا أهل النار**"[6]، فيه إغراء لأهل الجنة والنار على الاشْرِئبَاب[7] للنظر في شأن الداعي، فالحث لأهل الجنة لأنهم خائفين من الخروج منها، والإثارة لأهل النار لأنهم يرجون الخروج منها، فندائهم بأسلوب البعيد تفخيماً وتهويلاً لما نودي من أجله، وليستثيرهم ويستحثهم للارتفاع والاطلاع.

---

(1) حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، د.ط، ج٥ ص٣٦.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً)، رقم الحديث (٤٥٦٦)

(4) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب المرضى، باب عيادة المريض راكباً وماشياً وردفاً على الحمار، برقم (٥٦٦٣).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(7) اشْرَأَبَّ: مدَّ عُنقه، أو ارتفع لينظر. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٢، ص٤٧٧.

ومن معاني النداء: الندبة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم لما صعد الصفا ذات يوم وقال" **يا صباحاه**"[1] وسبب انتدابه هو محاولة منه لاستثارة القوم وتعظيم الأمر لديهم وتهويل مبتغاه، واستخدم لذلك أداة نداء البعيد واللفظ الذي يستخدمونه حال هجوم العدو.

ويأتي النداء للتأكيد على اختصاص المنادى بمضمون الخبر الذي سبق النداء، كما في قوله صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم" **إن الله قد صدقك يا زيد**"[2]، فالنداء هنا للتأكيد على اختصاص زيد بالأمر ووصفه بالصدق.

وبالنداء ينتهي مبحث الإنشاء الطلبي، ومما سبق: رأينا ثراء النص النبوي بالأساليب الإنشائية وتنوعها، وتوظيفها التوظيف الدقيق البليغ الفصيح، وحسن تركيب الألفاظ على المعاني المقصودة، بما يجعلنا نقف مبهورين أمام جمال انتقاء أساليب جمل حديثه صلى الله عليه وسلم، وروعة معانيها ومبانيها، ودقة التعبير بها، والأثر الذي تتركه في نفوسنا، والقناعات التي تغيرها في عقولنا، بمجرد التأمل في أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه واستفهاماته ونداءاته.

**المطلب الثاني: الإنشاء غير الطلبي في التفسير النبوي.**

الإنشاء غير الطلبي: وهو "ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب"[3]، (ليس أمراً ولا نهياً ولا استفهاماً ولا تمنياً ولا نداءً)، وليس فيه إخبار يحتمل الصدق أو الكذب، فهو لا يراد به الإخبار ولا الطلب، بل هو التعبير عن حالة لا صدق فيها ولا كذب ولا طلب، وله عدة أنواع: كالتعجب والمدح والذم وصيغ العقود والقَسم والرجاء.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، رقم الحديث (٤٨٠١)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) الآية، رقم الحديث (٤٩٠٠)

(3) الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ط٦، ص٦٢

وقد اختُلف في الإنشاء غير الطلبي: فمنهم من عده من الخبر،" لأن أكثر أقسامه نقلت عن الخبرية إلى الإنشائية، فيستغنى بأبحاثها الخبرية عن الإنشائية"[1]، لذلك نرى قلة تعرض البلاغيين لدراسته في كتبهم.

وسبب هذا الاختلاف فيه؛ هو الاختلاف في مباحثه أساساً؛ فالرجاء يعتبرونه نوعاً من التمني فيرون إلحاقه بالأسلوب الإنشائي –التمني–.

ويرون أن صيغ العقود، قد تحتمل معنى الإخبار عن العقد وقد تحتمل إنشاء العقد؛ لذلك فقد تدرج في مباحث الخبر أو الإنشاء الطلبي بعد معرفة مقتضى الحال الذي وردت فيه.

وكذلك التعجب؛ فهو يحتمل أن يكون خبراً عن حالة نفسية للمتحدث، ويحتمل أن يكون إنشاءً يُطلب فيه من المخاطب أن يتعجب من هذا الأمر.

وكذلك المدح والذم فهو إما إخبار عن صفة ذاتية في الممدوح أو المذموم، وإما طلبُ مدحه أو ذمه،وأما القَسم فكونه لا يأتي إلا مع الجملة الخبرية؛ لغرض تأكيدها، ولفظه كذلك بمثابة الإخبار عن عقد اليمين، كأنه يقول: (حلفت على كذا).

ورد في كتاب التفسير من صحيح البخاري من أساليب الإنشاء غير الطلبي لفظ القسم في قوله صلى الله عليه وسلم: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**"[2].

(1) ناصف وديات ومحمد وطموم، **دروس البلاغة**، د.ط، ص٤٢

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

## الفصل الثاني: أَحْوَالُ الإِسْنَادِ.

ويتضمن هذا الفصل أسباب ذكر المسند إليه والمسند مع إمكانية حذفه، وروائع الأساليب التي يحذفان فيها، ودواعي ذلك الحذف، وأغراض تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم.

**وفيه أربعة مباحث:**

**المبحث الأول: الذكر.**

**المبحث الثاني: الحذف.**

**المبحث الثالث: تقديم الكلام وتأخيره.**

**المبحث الرابع: التنكير والتعريف.**

## المبحث الأول: الذكر.

سبق أن الكلام يتكون من مسند ومسند إليه، والمسند إليه –المحكوم عليه–، هو الفاعل أو نائبه أو المبتدأ الذي له خبر، وأما المسند –المحكوم به –، فهو الفعل أو الخبر أو المبتدأ المكتفي بمرفوعه.

والمسند إليه واجب الذكر لاستناد معنى الكلام عليه، إلا أنه قد تعرض له حالات يجوز فيها حذفه؛ لدلالة تدل عليه، إما قرينة لفظية أو معنوية أو حالية، وهنا يكون ذكره جمالاً أسلوبياً وإضافةً بيانيةً وغرضاً أنيقاً، وكذلك المسند فحقه الذكر؛ إذ به يُحكم به على المسند إليه، فلا يقوم المعنى بدونه إلا إذا دلت عليه قرينة أو كان الحذف أقوى وأبلغ من الذكر.

وسأتناول في السطور التالية الأغراض البلاغية لذكر المسند والمسند إليه في الأحاديث المعنية بدراستها، وأولها قوله صلى الله عليه وسلم" **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُه**"[1]، فلفظ –هي: المسند إليه– يصح الكلام بدونها ويفهم معناه، إلا أنه صلى الله عليه وسلم ذكره لزيادة التقرير على أهمية هذه السورة والتوضيح لصفتها ومكانتها والتعظيم من شأنها.

وتتضح معاني التعجب من فعل ابن آدم تجاه خالقه لما أعاد ذكر لفظ "**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ**"[2]، فالمعنى يصل بذكر النفي المرة الأولى؛ إلا أنه لتأكيد معنى الإنكار والتعجب من هذا الفعل، لزم ذكره مع كل لفظ قبيح صدر من هؤلاء الجاحدين المنكرين للبعث والمفترين على الله، وكذلك في الحديث ذكر لفظ "**إيايّ**" مع وجود القرائن الدالة عليه؛ والغرض من إيراده التأكيد على بشاعة وقباحة هذا الفعل في حقه جل جلاله، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولداً)، رقم الحديث (٤٤٨٢)

وأما في قوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلا اللُّقْمَةُ وَلا اللُّقْمَتَانِ**"[1] يذكر النبي صلى الله عليه وسلم التمرة والتمرتان واللقمة والقمتان للمبالغة في تأكيد المعنى الذي يريد إيصاله للصحابة.

ويخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن إصرار اليهود والنصارى على الكفر والعناد في يوم القيامة عندما يسألهم الله تعالى "**من كنتم تعبدون؟**"[2] فيجيبون "**كنا نعبد عزير ابن الله، كنا نعبد المسيح ابن الله**" فقولهم –نعبد– في الإجابة عليه تعالى؛ وهو موضع يجوز فيه الحذف، وذلك لغرض: بيان إصرارهم على الشرك والكفر حتى في يوم الحساب والجزاء.

وأما في حديث ذبح الموت [3] يجيب المنادَون فيقولون: "**نعم، هذا الموت**" فقولهم –هذا الموت– إقرارٌ منهم بمعرفة المشار إليه[4] ورداً على المنادي السائل؛ وتشوقاً منهم لمعرفة مآل الموت ومصيره.

ومن دقة بيانه صلى الله عليه وسلم قوله لعويمر "**قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ**"[5] فذكر المسند إليه –عويمر وامرأته–، إقراراً لما كان منهما بالاحتكام إليه، وليبين لهما أن الحكم الذي سيصدر عنه إنما هو من الوحي، وليؤكد اختصاصهما بحكم هذه الآية ثم من شابههما فيما بعد.

ومن روائع البيان النبوي وصفه صلى الله عليه وسلم للجنتين [6]، ففي قوله "**آنيتهما وما فيهما**" ذكرٌ لزيادة التوضيح والتقرير للسامعين، وإلا فقوله "**جنتان من فضة، وجنتان من ذهب**" كان لفظاً واضحاً شاملاً يدل على أنهما من ذهب وفضة لتنكيرهما –إذ إن التنكير يفيد الشمول والعموم–، إلا أنه صلى الله

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(لا يسألون الناس إلحافاً)، رقم الحديث (٤٥٣٩)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(4) قال بدر الدين العيني: "فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتى يقولون نعم؟ قلت: لأنهم يعاينون ملك الموت في هذه الصورة عند قبض أرواحهم". العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ط١، ج١٩، ص٧٤.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:( ومن دونهما جنتان)، رقم الحديث (٤٨٧٨)

عليه وسلم ذكر الآنية وما فيهما، لغرض زيادة التوضيح والتشويق والتأكيد على استغراق الذهب والفضة لكل ما في الجنتين.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**إن الله قد صدقك يا زيد**"[1] ذكر المسند إليه –زيد– للتعريض بكذب المنافقين، ولرد الاعتبار لذلك الصحابي، ولقلة الثقة بالقرينة الحاليّة في إثبات صفة الصدق لزيد بن أرقم رضي الله عنه خاصة؛ فبذكره ينتفي توهم اختصاص غيره بهذا اللفظ.

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) الآية، رقم الحديث (٤٩٠٠)

## المبحث الثاني: الحذف

حق المعاني ذكر الألفاظ التي تعبر عنها، إلا أنه قد تعرض مواضعٌ يكون حذف الألفاظ فيها، مزية في الكلام، وبلاغة في المعنى، وغاية في الفصاحة، يتم بها المقصد، ويحصل بها الفهم، ويجملُ فيها نسق الحديث، وتعلو قيمة النص، وتوجز به العبارة.

ومواطن الحذف متعددة، وقد حاول البلاغيون عدَّ دواعيها وحصر أغراضها، وقد حوى الحديث الشريف الكثير منها، أبدأ بأكثرها تردداً في هذا الكتاب، وهو إسناد الفعل إلى نائب الفاعل.

يحذف الفاعل –المسند إليه – ويسند الفعل إلى المفعول، ويسمى: نائب الفاعل، –أي: يبنى الفعل للمجهول– لعلل بلاغية تفيد معانٍ عديدة غير الجهل به، فالغرض الأصلي من هذا الأسلوب الجهل بالفاعل الحقيقي للفعل، إلا أنه قد يبنى الفعل للمجهول ويحذف الفاعل تعظيماً لشأنه أو خوفاً منه أو كونه معلوماً به أو لبعد إدراك العقل كيفية وقوع الفعل، وما إلى ذلك من الأغراض التي تلحظ وتستنتج من سياق الحديث ومعنى النص.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**قيل لبني إسرائيل**"[1] فحذف الفاعل –القائل– للعلم به جل وعلا، ومن الملامح والأغراض التي قد تستنتج من هذا الحذف وما شابهه –مما سيأتي لاحقاً– تعظيم ذكره تعالى وصيانة ذكر اسمه جل جلاله صريحاً في مثل هذه الأخبار التي عُصي فيها واستخف فيها بأوامره، فعندما يأتي اللفظ بأسلوب الإسناد لنائب الفاعل يكون ذلك تعظيماً له تعالى وتنزيهاً له سبحانه عما فعله هؤلاء العصاة من الكفر والشرك به، كما في حديث الرؤية[2] في قوله صلى الله عليه وسلم "**فيُدْعَى الْيَهُودُ... ثمَّ يُدْعَى النَّصَارَى... فيُقال لهم...**" في جميع مواضع هذا الحديث الإخبار بأسلوب المبني للمجهول دلالة على تعظيمه تعالى وتنزيهه عما لا يليق به جل وعلا، ودلالة على أن العقول لا تدرك تلك الغيبيات بالحس المشاهد ولا تقاس عليه، وإنما بالإيمان واليقين والتصديق الجازم بها، فيعبر عنها بهذا الأسلوب، ومما يلاحظ أن غالب أهوال يوم القيامة والأخبار عن الجنة والنار، تأتي كثيراً بهذا الأسلوب؛

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

بياناً بأن معنى الأفعال هي المقصودة منها، إلا أن واقع ذلك شيء آخر، فكما أن أهل الجنة يرزقون الثمر ويرونه يشبه ثمر الدنيا اسماً وشكلاً إلا أنه يختلف عنه اختلافاً تاماً في الطعم والمذاق، فهكذا هي الآخرة، يصورها لنا القرآن والسنة بما تدركه عقولنا وأفهامنا إلا أنه سيكون حينئذٍ شأن آخر، لذلك عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ الإسناد لنائب الفاعل، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم" **يُدْعَى نُوحٌ يوْمَ الْقِيَامَةِ**"[1] فالداعي هو الله عز وجل، يعضد هذا المعنى إجابة نوح بقوله" **لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ**" والغرض من ذلك تعظيمه جل جلاله والابتعاد به عن مساواته بمخلوقاته والأدب معه تعالى، إذ إن خطاب المنادي للمنادى، فيه تسوية ومشابهة فالله عز وجل يرفع وينزه عن ذلك، ومن مواطن الحذف في هذا الحديث حذف المسند إليه –الرسالة–" **هل بلغت؟**" فتقديره: هل بلغت الرسالة؟ حذفت لتعينها وظهور المقصد من السؤال لدلالة الحال والمقام عليها، وحذفت الجملة كاملة من إجابة نوح عليه السلام لربه "**نعم**" فتقديره: نعم، بلغت الرسالة، فحذفت لضيق المقام عن الإطالة في الكلام، فهو مقام حساب واستجواب، لا مجالَ لذكر الحجج والبراهين وتفنيدها، وحذف المسند إليه في قوله" **هل بلغكم؟**" أي نبيكم نوح، لكونه معلوماً لهم ومعروفاً عندهم، وكذلك حذف المسند في قوله" **محمد وأمته**" وتقديره: يشهد لي محمد وأمته، حذف لوقوعه في جواب الاستفهام، وكذلك حذف المسند في قوله "**الوسط: العدل**" لوقوعه في جواب سؤال مقدر، وكأن أحداً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ما معنى الوسط؟ فأجابه: الوسط يعني العدل، أو افتراضاً لمثل هذا السؤال.

وفي حديث استراق السمع[2] أفعال أسندت لنائب الفاعل منها:" **فُـزّع**" لتعظيمه جل جلاله والأدب معه، وقوله صلى الله عليه وسلم "**فتُلْقَى... سُمِعَت**" لصون اللسان عن التلفظ بهؤلاء المسترقين للسمع وعملهم؛ لأن فعلهم يعتبر تعدياً على الغيب وعلى أهل السماء.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)، رقم الحديث (٤٤٨٧)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

ومن مواطن حذف ذكر اسمه تعالى ما ورد من الإسناد لنائب الفاعل في حديث الشفاعة[1] قوله صلى الله عليه وسلم عن موسى عليه السلام:" **وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا**" وقوله صلى الله عليه وسلم "**ثمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ**" وهذا من تعظيمه جل جلاله في نفوس الأنبياء، ولهذا نلحظ أن الأحاديث التي فيها خطاب منه تعالى لأيٍّ من خلقه يذكره صلى الله عليه وسلم بأسلوب الحذف –إسناد الفعل لنائب الفاعل– احترازاً من تسويته تعالى ومشابهته لمخلوقاته وأفعالهم، إلا أنه صلى الله عليه وسلم لما قال:" **ثمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**" ذكر اسمه تعالى صريحاً ولم يحذفه؛ لتفرده جل جلاله بالإلهام، فذكر الفاعل في هذا الموضع يدل على احترازه صلى الله عليه وسلم من ذكر اسمه تعالى في موضع لا يليق به سبحانه وخوفاً من تسويته بمخلوقاته.

وكذلك من أحاديث القيامة التي حذف فيها الفاعل قوله صلى الله عليه وسلم:" **يُؤْتَى بِالْمَوْتِ**"[2] وسبب الحذف ربما الجهل به أو عدم الفائدة من ذكره، إلا أن الغرض هو غيب كيفية حدوث هذا الأمر، إذ إن الموت عرض وليس جسم وتحويله إلى جسم وهيئة لا يحدث إلا بقدرة الخالق جل وعلا وحده لا شريك له، وهذا مما قد يصعب على العقل البشري تصوره، ولذا ترد هذه الأحداث بأسلوب المبني للمجهول؛ لأن البشر يوم القيامة يعيد الله خلقهم لتكون عقولهم وأجسامهم قابلة للحياة الأخروية الجديدة والتكيف مع أحداثها، أما في الحياة الدنيا فمدركات البشر العقلية محدودة؛ لحكم إلهية عظيمة ليس هنا موضع البسط فيها، وكذلك في هذا الحديث حذف الفاعل ونائبه" **فيُذبح**" اختصاراً للكلام لدلالة السياق عليه.

ومن المواضع كذلك قوله صلى الله عليه وسلم" **بله ما أُطلعتم عليه**"[3] فالتعبير بأسلوب المبني للمجهول لتكثير ما قد بلغنا من الأحاديث والأخبار عن نعيم الجنة، وأن ما أخبرنا به قليل بالنسبة لما قد

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

ادخره الله عز وجل ولم يطلعنا عليه، قال الخطابي "كَأَنَّهُ يريد به دَعْ مَا أُطْلِعْتُمْ، فَإِنَّهُ سَهْلٌ أو يسير فِي جَنْبِ مَاذَخَرْته لَهُمْ"[1]

وكذلك من المواضع التي أسند فيها الفعل لنائب الفاعل قوله صلى الله عليه وسلم لنسائه "**إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ**"[2] والغرض من الحذف العلم بالآذن، وتعظيم مقام الوحي ومكانته.

وفي قول النار لما تحاجت هي والجنة" **أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ**"[3] والغرض من حذفه الإيجاز لدلالة السياق عليه، وقوله صلى الله عليه وسلم" **يُلقَى في النار**"[4] فحذف الفاعل هنا للعلم به، ومما يلحظ في مثل أحاديث هذه المعاني –معاني العقاب أو الزجر– أن الإسناد فيها يكون للمفعول، فمن باب التعظيم؛ لنفي أي تصور وحشي أو بشع قد يطرأ على الذهن عن الفاعل جل جلاله.

وقوله صلى الله عليه وسلم "**بعثت والساعة كهاتين**"[5] مبالغة في اختصار الكلام؛ للإشارة إلى شدة قرب قيام الساعة.

وآخر موضع للإسناد لنائب الفاعل في قوله صلى الله عليه وسلم عن المعوذتين "**قِيلَ لِي فَقُلْتُ**"[6] حذف الفاعل للعلم به وهو جبريل عليه السلام.

ويلحظ في جميع مواطن هذا الكتاب أن حذف المسند إليه –الفاعل– إما في الأحاديث التي تتحدث عن القيامة وأهوالها أو الجنة والنار أو الوحي أو الأحاديث التي تختص بأفعاله جل جلاله، والغرض

---

(1) الخطابي، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، ط١، ص١٨٨٩

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) إلى قوله: (إن ذلكم كان عند الله عظيماً)، رقم الحديث (٤٧٩٥)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٥٠)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٤٨)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٦)

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٧٦)

منها إما تهويل المواقف أو عدم إحاطة العقول بكيفيتها أو لتنزيهه تعالى عن مشابهة مخلوقاته وتعظيمه والاحتراز عن ذكر اسمه تعالى في موطن لا يليق به.

أما المواطن الأخرى للحذف فمنها: حذف المسند إليه –المبتدأ– في قوله صلى الله عليه وسلم "**فلان**"[1] لما أجاب على الرجل الذي سأله من أبوه؟ إذ إن تقديره –أبوك فلان– فحذف لوقوعه في جواب الاستفهام ابتعاداً عن فضول الكلام وعبثية ذكره.

وحذف المسند والمسند إليه في قوله صلى الله عليه وسلم" **قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ**"[2] تقديره: قال ربُنا الحقَّ، حذف لوقوعه في جواب استفهام ولضيق المقام عن إطالة الكلام، ومن الحذف في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم" **فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيَصْدُقُ**" حذف الفاعل للعلم به وهو الكاهن أو الساحر لصون اللسان عن التلفظ به.

ويأتي حذف المسند –الفعل– في قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية رضي الله عنه" **الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**"[3] إذ إن تقديره: أحضر البينة، وحذف لدلالة السياق على المقصود ولتعظيم شأن وجوب إحضار البينة والبرهان على الادعاء، فذكر المسند إليه بدون مسنده لزيادة الاهتمام والاعتناء به.

والحذف في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" **بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**". قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ،" **وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ**"[4] فلم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم التمييز ولم يعلمه أبو هريرة رضي الله عنه لكون هذا الأمر غيباً وسراً لا يعلمه إلا الله وحده.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، رقم الحديث (٤٦٢١)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله)، رقم الحديث (٤٨١٤)

ومن الحذف لتعجيل الإجابة قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى في حديث الرحم لما "**قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ**"[1] فلفظ–فذاك– حذف مسنده لدلالة عليه سابقاً وهذا يدل على سرعة وقوع ثواب من وصل الرحم وعقاب من قطعها.

**في حذف المفعول:**

تنقسم الأفعال إلى لازمة ومتعدية، إلا أن البليغ قد ينزل الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم لغرض بلاغي، فيحذف المفعول ويكتفي بالمرفوع، فكما في قوله صلى الله عليه وسلم "**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: {ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا وَقَالُوا: حِنطَّةٌ حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ**"[2] حذفت مفاعيل –فدخلوا، فبدلوا– اختصاراً للكلام لوجود قرينة لفظية سابقة ودلالة سياق الكلام عليها، فمفعول –فدخلوا– هو باب القرية { **نج نح نخ** } (البقرة: ٥٨)، ومفعول –فبدلوا– هو القول أي: بدلوا القول.

وحذف المفعول من قوله صلى الله عليه وسلم "**وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**"[3] فقد ورد الفعلان –يخفض ويرفع– لازمين مع أنهما متعديان؛ لغرض تعميم المعنى وشمول دلالتهما لأمور كثيرة، فبعض شراح الحديث[4] حصروا المعنى في الرزق، إلا أن الخفض والرفع قد يكون في أمور غير الرزق كالدرجات في الآخرة والمنازل والصيت في الدنيا بين الناس، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "من تواضع لله رفعه الله"[5] وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "إنَّ اللهَ يرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويضعُ به آخرِين"[6]، والأحاديث في هذا الباب متعددة وهي تحتمل معانٍ كثيرة يفيدها حذف مفعول الفعلين.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(4) منهم: النووي في **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٤، ج٧ ص٨٢، ومنهم القاري في **مرقاة المفاتيح**، ط١، ج١ ص٢٦٤، وغيرهم.

(5) الألباني، **السلسلة الصحيحة**، ط١، ج٥، ص٤٣٢.

(6) أخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، رقم (١٨٩٧) بترقيم تحفة الأشراف.

ومن حذف المفعول قوله صلى الله عليه وسلم" **فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**"[1] "كلا مفعوليه محذوفان –أي سماهم الله أهل الزيغ–"[2] فالغرض من حذف المفعولين: تحقيرهم وصون اللسان عن التلفظ بهم لا سيما بعد ذكر اسمه تعالى.

## المبحث الثالث: تقديم الكلام وتأخيره.

لكلام العرب قوالب يسير على نسقها، ولكل كلمة موضعها وموقعها الذي حقها أن تكون فيه، فالمسند إليه حقه التقديم لاستناد المعنى عليه، ونحوياً يسبق الفعلُ الفاعلَ ويليهما المفعول، وهذا الترتيب النحوي هو الأساس لترتيب الجمل، إلا أن البليغ يحتاج أحياناً لإيصال معانٍ أكثر من التي يحملها اللفظ بترتيبه المعتاد، فيقدم ويؤخر في مواضع الكلام بناء على أغراض نفسية أو معنوية يريد إيصالها للمخاطبين، فلما يقول النبي صلى الله عليه وسلم "**أنا سيد الناس يوم القيامة**"[3] فهو يخص نفسه صلى الله عليه وسلم بالسيادة على الناس جميعاً يوم القيامة دون غيره من الأنبياء، ومن ذلك في هذا الحديث تقديم الضمائر في خطاب الناس للأنبياء يوم القيامة، والغرض من ذلك تخصيص كل نبي بصفته الملازمة له؛ فآدم عليه السلام أبو البشر، ونوح عليه السلام أول الرسل، وإبراهيم عليه السلام نبي الله وخليله، وموسى عليه السلام رسول الله وكليمه، وعيسى عليه السلام كلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر "**أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ... يا نوح إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ... يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ... يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ... يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا... يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**".

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

([2]) أبو الطيب آبادي، **عون المعبود**، ط٢، ج١٢ ص٣٤٨

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

ومن التخصيص، اختصاص المسند إليه بالمسند وحده لا غيره، إذ به يقوى الحكم ويختص به، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل جلاله "**أنا ربكم**"[1] فتقديم الضمير يفيد اختصاصه جل وعلا بالربوبية وحده لا شريك له، وفي هذا تقوية إثبات اتصاف المسند إليه –أنا– بالمسند –ربكم– وأنه وحده متصف بهذه الصفة دون غيره، وفي التقديم التوكيد على ذلك المعنى لأن إعراب الجملة يقتضي إضمار ضمير آخر بعد المسند.

وكذلك في قوله جل وعلا يوم القيامة "**أنا الملك**"[2] فهذا يفيد اختصاصه جل جلاله بالملك المطلق يوم القيامة الذي لا ينازعه فيه أحد.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**قَالَ اللَّهُ عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"[3] فقوله عز وجل –أنا الدهر– تقدم فيه الضمير لاختصاصه تعالى بأفعال الدهر وتدبير الأمور والأحداث فيه، وأنه وحده هو المصرف للزمان، المدبر للأحكام لا شريك له في ذلك، فسب الزمان والأيام والوقائع؛ هو سب لفاعلها في الحقيقة ولمقدرها ومدبرها، ومن التقديم والتأخير في هذا الحديث قوله "**بيدي الأمر**" فتقديم المسند–بيدي– على المسند إليه –الأمر– لإفادة التخصيص كذلك؛ تخصيص أمر هذا الكون وشأنه بيده تعالى وحده لا شريك له.

هذا فيما يخص التقديم لغرض التخصيص، وأما الأغراض الأخرى فمنها: إفادة العموم كما في قوله صلى الله عليه وسلم "و**كلهم قد رآه**"[4] فتقديم –كل– يفيد رؤية جميع من في الجنة والنار لذلك الكبش الأملح.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)، رقم الحديث (٤٨١٢)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

ومن الأغراض التعجيل بالمسرة كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعويمر" **قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ**"[1] فتقديم لفظ القرآن على متعلقات الفعل –الجار والمجرور– الغرض منه تعجيل البشرى لعويمر بنزول الجواب السماوي لمسألته وقضيته.

ومن أغراض التقديم والتأخير سلب العموم –أي نفي الإسناد قطعاً– كما في قوله صلى الله عليه وسلم" **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**"[2] فتقديم أداة النفي وتنكير المسند إليه وتأخيره؛ يفيد نفي رؤية ذلك النعيم عن كل ذي عين، ونفي سماع شيء منه عن كل ذي أذن، ونفي تخيله أو تصوره عن كل ذي لب وعقل وقلب، إذ إن هذه الحواس الثلاث –البصر والسمع والحس– هي وسائل الإدراك ومصادر المعرفة التي يستقي منها الإنسان معلوماته، لا تخرج عن هذه الثلاث البتة، فهو نعيم لم يره بشر ولم يسمعوا به ولن يخطر بمخيلاتهم –نسأل الله من فضله– وبهذا التقديم ينتفي الإدراك عموماً عن البشر لما قد أعده الله تعالى لعباده الصالحين.

ومن المواضع التي تقدم فيها المسند على المسند إليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**"[3] والغرض من تأخير المسند إليه الجهل به؛ فأربعون نكرة لا مُميّزَ لها ولذا وجب تأخيرها وتقديم المسند[4].

ومن أغراض تأخير المسند إليه التخصيص به، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "**وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ**"[5] فالميزان بيده تعالى وحده خاص به لا يشاركه في قسمة الأرزاق وتوزيعها أحد.

---

(1) خرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله)، رقم الحديث (٤٨١٤)

(4) قال ابن مالك: (وَنَحْوُ عِنْدِي دِرْهَمٌ وَلِيَ وَطَرْ... مُلْتَزَمٌ فِيهِ تَقَدُّمُ الْخَبَرْ). ابن مالك، **متن ألفية ابن مالك**، د.ط، ص١١.

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم" **وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا**"[1] فخص للجنة ملؤها وخص للنار ملؤها، لأنهما تحاجتا واشتكت الجنة من قلة ساكنيها، وحينما يقول جل جلاله "**لكل واحدة منهما ملؤها**" ليثبت أنهما تمتلآن، وهذا الموضع مما يجب فيه تأخير المسند إليه[2].

ومن تأخير المسند إليه قوله صلى الله عليه وسلم" **يطوف عليهم المؤمنون**"[3] والغرض من ذلك قصر المسند إليه على المسند وإفادة التجدد والاستمرارية بتقديم المسند الفعلي، فهؤلاء الحور اللاتي أعدهن الله للمؤمنين مقصورات عليهم وحدهم؛ لذا أخر ذكر المؤمنين.

ومن أغراض تقديم المسند تخصيص مقتضاه بالمسند إليه، فكما في قوله صلى الله عليه وسلم" **مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**"[4] ففي أول الحديث قال صلى الله عليه وسلم (وهو حافظ له) بتقديم المسند إليه، وأما في آخره قال (وهو عليه شديد) بتأخير المسند إليه والغرض من تأخيره نفي الشدة والصعوبة عن القرآن الكريم، وتخصيص ذلك للشخص نفسه إما لعدم اتقانه القراءة أو اللغة العربية أو لعاهة في النطق؛ ولذا قدم الجار والمجرور لئلا يتبادر للذهن بأن القرآن الكريم فيه مشقة أو عسر { نى نيىير **يزيم** ين } (القمر: ١٧).

**تقديم المسند الفعلي:**

حق المسند في الكلام تأخيره، إلا أنه قد يكون فعلاً، فيكون التأخير تعنتاً في الكلام وتقعراً ولا يؤدى اللفظ بسلاسة وسهولة، وحينها يتقدم الفعل على فاعله؛ ليفيد ذلك معانٍ عديدة، من أهمها الإشارة إلى زمن حدوث الحدث، ومن ذلك:

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٥٠)

(2) قال ابن مالك: (كَذَا إذا عَادَ عَلَيْهِ مُضْمَرُ ... مِمَّا بِهِ عَنْهُ مُبِيناً يُخْبَرُ). ابن مالك، **متن ألفية ابن مالك**، د.ط، ص١٢.

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (حور مقصورات في الخيام)، رقم الحديث (٤٨٧٩)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٧)

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث "**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: {ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا وَقَالُوا: حِنطَّةٌ حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ**"[1] فالأفعال بأسلوب الماضي للدلالة على وقوع هذا العصيان من بني اسرائيل سابقاً، إلا قوله –يزحفون– فذكره بأسلوب المضارع للدلالة على استمرارهم في الاستهتار بأوامر الله وإصرارهم على الكفر والجحود.

وأما في حديث الرؤية [2] وردت الأفعال التي تقدمت معموليها لإفادة حدوث هذا الأمر في المستقبل؛ حيث إنها وردت بصيغة المضارع (**تعبد، يعبد، يتساقطون، يبق، تعبدون، يُدعى...**) إلا أنه في بعضها وردت بصيغة الماضي للدلالة على حتمية تحقق هذا الأمر وكأنه قد وقع( **أذن، عطشنا، أتاهم...**) وهذا الأسلوب يرد كثيراً في الحديث عن أحداث يوم القيامة.

وكذلك منه حديث" **أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ...**"[3] تقدمت فيه الأفعال ووردت بأسلوب الماضي لتفيد وقوع أحداثها في منامه صلى الله عليه وسلم وللإشارة إلى تحقق وقوع هذه الأحداث يوم القيامة.

أما في حديث الشفاعة[4] فوردت أغلب الأفعال التي تقدمت على معموليها بأسلوب المستقبل للإشارة إلى أن هذه الأحداث لم تحدث بعد، ومن ذلك حديث ذبح الموت[5] وحديث السجود لله تعالى يوم القيامة[6]، وحديث" **يقبض الله الأرض...**"[7]، وغيرها من الأخبار عن يوم القيامة، وهذا هو الأساس في التحدث عن الأمور المستقبلية، إلا أنه قد يعبر بالماضي عن المستقبل وسأتحدث عنه لاحقاً –إن شاء الله– في أسلوب التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرون اعترفوا بذنوبهم)، رقم الحديث (٤٦٧٤)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(يوم يكشف عن ساق)، رقم الحديث (٤٩١٩)

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)، رقم الحديث (٤٨١٢)

وأما الأفعال في حديث" **إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ...**"[1] تقدمت أفعالها ووردت بأسلوب الماضي والمضارع، فما كان يخص الوحي ورد بالماضي للإشارة إلى أن استراق السمع لا يقع إلا بعد انقضاء الأمر منه تعالى وأن الجن إنما تسترق السمع من الملائكة عندما يتساءلون بينهم "**ماذا قال ربكم؟**" وأما الأفعال التي تخص مسترقي السمع فوردت بأسلوب الحاضر؛ إشارة إلى استمرار استراق السمع إلى أن يشاء الله عز وجل.

ويأتي التقديم لذم الفعل واستهجان العمل وانكاره، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل" **كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِك**"[2]، فقدم المسند الفعلي للتنبيه على عظمة هذا الذنب وهذا القول في حقه تعالى.

وأما في قوله صلى الله عليه وسلم" **خلق الله الرحم**"[3] فقد تقدم الفعل للإشارة إلى عظم أمرها ومكانتها وحرمتها.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ**"[4] تقدم المسند الفعلي ومتعلقه –الجار والمجرور– على المسند إليه لتحقير الفاعل وذم فعله وتقبيحه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولداً)، رقم الحديث (٤٤٨٢)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٤٢)

## المبحث الرابع: التنكير والتعريف

تنكير الاسم وتعريفه مبحث نحوي مشهور، إلا أنه له مقاصد بلاغية وأغراض فنية بديعة، يلحظها الدارس لفنون اللغة ويتذوقها الضليع في العربية، فلما يأتي المسند إليه نكرة فهو يفيد معانٍ غير التي قد يفيدها حال إتيانه معرفة وكذلك المسند، وسأعرض أغراض تنكير وتعريف بعض الأسماء في هذا الكتاب –كتاب التفسير من صحيح البخاري–.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**"[1] تنكير للاسم –ند– يفيد عمومه لكل ما قد يعبد من دون الله تعالى، وكذلك يفيد التحقير والتقليل لما يعبد من دون الله.

ومن العموم تنكير ألفاظ –عين وأذن وقلب وبشر– في قوله صلى الله عليه وسلم "**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**"[2] فتنكير الألفاظ بعد النفي يفيد عموم من له عين أو له أذن أو له قلب أو من اتصف بصفة البشرية.

ومن العموم كذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**"[3] لفظ –أحد– بالتنكير وبعد النفي يفيد عموم المحاسبين يوم القيامة: المؤمنين والكافرين، الأنبياء والصالحين، كل البشر، وهذا لأنه "لا حسنة للعبد يعملها إلا من عند الله وتفضله، وإقراره له عليها، وهدايته لها، وأن الخالص لوجهه تعالى من الأعمال قليل"[4].

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، رقم الحديث (٤٤٧٧)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فسوف يحاسب حساباً يسيراً)، رقم الحديث (٤٩٣٩)

(4) القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ط١، ج٨ ص٤٠٧

ومن التعميم قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه "**فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**"[1] فلفظ – صاحبةً وولداً– نكرة تفيد نفي أي صاحبة وأي ولد لله سبحانه وتعالى، وفيه تنكيرهما تقليلاً لشأن المحتاج لهما، وتعظيماً للمستغني عنهما جل جلاله؛ فالمحتاج للزوجة والأولاد دليل على ضعفه وعجزه.

ومن معاني التنكير: التكثير، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "**وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**"[2] فلفظ –خلقاً– يعني خلقاً كثيراً لا أعمال لهم يملئون ما تبقى منها من مساكن خالية[3].

ومن معاني التنكير: التحقير، كما في قوله صلى الله عليه وسلم عن بني إسرائيل لما قيل لهم { **نج نح نخ** نم نى } (البقرة: ٥٨) "**فَبَدَّلُوا وَقَالُوا: حِنطَّةٌ حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ**"[4] فقولهم هذا القول بهذا الأسلوب النكرة فيه مبالغة في الاستهزاء بأوامر الله تعالى، حنطة تبديلاً لحطة، وحبة في شعرة زيادة منهم؛ استخفافاً بالأمر الشرعي؛ فهم زادوا بهذا اللفظ ليثبتوا مقصدهم من حنطة وأنهم لا يريدون غفران الذنوب بل يريدون الأكل والطعام بدل المغفرة، استهتاراً باللفظ الذي أمروا بقوله.

ومن التحقير، قوله صلى الله عليه وسلم "**انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ**"[5] وفي معنى هذه الألفاظ النكرة، قال ابن حجر: "قَوْلُهُ عَزِيزٌ أَيْ: قَلِيلُ الْمِثْلِ، قَوْلُهُ عَارِمٌ بِمُهْمَلَتَيْنِ أَيْ: صَعْبٌ عَلَى مَنْ يَرُومُهُ كَثِيرُ الشَّهَامَةِ وَالشَّرِّ، قَوْلُهُ مَنِيعٌ أَيْ: قَوِيٌّ ذُو مَنَعَةٍ أَيْ رَهْطٍ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الضَّيْمِ"[6]

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولداً)، رقم الحديث (٤٤٨٢)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٥٠)

(3) ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم: "هذا دليل لأهل السنة أن الثواب ليس متوقفاً على الأعمال فإن هؤلاء يخلقون حينئذ، ويعطون في الجنة ما يعطون بغير عمل، ومثله أمر الأطفال والمجانين" ط٤، ج١٧ ص١٨١.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٤٢)

(6) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج٨ ص٥٧٦

ومن معاني التنكير: التعظيم، قوله صلى الله عليه وسلم "**هذا أهون، هذا أيسر**"[1] فتنكير الاسمين دلالة على شدة ما سبق هذا القول وعظمته، قال ابن حجر: "وإن كان ذلك من عذاب الله [أي: الرجز من السماء أو الخسف من الأرض] لكن أخف من الاستئصال، وفيه للمؤمنين كفارة"[2].

ومن التعظيم: قوله صلى الله عليه وسلم" **جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**"[3] فالألفاظ النكرة في هذا الحديث –جنتان، ذهب، فضة– تفيد تعظيم تلك الأسماء، وكأنه يقول جنتان عظيمتان من ذهب خالص وفضة خالصة.

ومن التعظيم كذلك: لفظ –خيمة– في قوله صلى الله عليه وسلم" **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ**"[4]، وفي قوله "**أهلٌ**" تنكير للتكثير.

ومن معاني التعظيم قوله صلى الله عليه وسلم" **لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ –أَوْ رَجُلٌ– مِنْ هَؤُلاءِ**"[5] رجال أو رجل بالتنكير يفيد تعظيم هؤلاء الرجال المؤمنين الذين لو كان الإيمان بعيداً منهم بُعدَ نجم الثريا من الأرض لأدركوه ووصلوا إليه.

وكذلك من التعظيم: لفظ –أجران– في قوله صلى الله عليه وسلم" **وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**"[6].

ومن معاني التنكير: التخويف، كما في صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية "**البينة أو حد في ظهرك**"[7] فلفظ –حد– نكرة تفيد التهويل والتخويف لحثه على إحضار البينة على ادعاءه، ثم في قوله

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم)، رقم الحديث (٤٦٢٨)

(2) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ج١٣ ص٣٠٩

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:( ومن دونهما جنتان)، رقم الحديث (٤٨٧٨)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (حور مقصورات في الخيام)، رقم الحديث (٤٨٧٩)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)، رقم الحديث (٤٨٩٧)

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٧)

(7) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

صلى الله عليه وسلم بعد ما اتضح كذب امرأة هلال وصدقه" **لَوْلا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**" فتنكير –شأن[1]– لتعظيم الحدود والتخويف بها.

وكذلك من معاني التخويف والتهويل: تنكير –سبع– في قوله صلى الله عليه وسلم" **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُف**"[2] وكذلك تنكير –عذاب شديد– في قوله صلى الله عليه وسلم" **فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**"[3].

ومن معاني التنكير: التقليل، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها" **وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا**"[4].

هذا بعض ما ورد في الأحاديث من معاني تنكير الأسماء، وأما معاني التعريف فهي بحسب نوع التعريف فإن كان باللام[5] فهو يفيد معانٍ متعددة من أهمها الاستغراق للجنس، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم" **الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ**"[6] يفيد تعريف الكمأة باللام –وهي لام الاستغراق– شمول هذا اللفظ لجميع أنواع نبات الكمأ[7]، ويفيد تعريف المنِّ باللام –وهي لام العهد الذهني– أن هذا النوع من النبات هو من جنس المنّ الذي أنزل على بني إسرائيل؛ إما بكونه ينبت بلا مشقة أو أنه نفسه الذي أنزل عليهم، فهو في كل الحالات من جنس ذلك المنّ الذي امتن الله به على بني إسرائيل.

---

(1) "أي لولا ما سبق من حكم الله تعالى بدرء الحد عن المرأة بلعانها، أي لأقمت الحد عليها". حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، د.ط، ج٥ ص٦٣.

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٧٧٤)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، رقم الحديث (٤٨٠١)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

(5) التعريف باللام يعني: التعريف بأل، وهي على نوعين: لام العهد الخارجي، ولام الجنس. وتنقسم لام العهد الخارجي إلى: عهد صريح وعهد كنائي وعهد حاضر، وأما لام الجنس فتنقسم إلى: لام الحقيقة ولام الاستغراق ولام العهد الذهني.

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى)، رقم الحديث (٤٤٧٨)

(7) "وهي نبتة خلوية تنبت في الصحراء دون استنبات... وهي أنواع كثيرة" حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، د.ط، ج٥ ص٣٣

وتفيد اللام تعيين المعهود الصريح كما في قوله صلى الله عليه وسلم" **لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ...** إلى أن قال: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُه**"[1] فبقوله –السبع المثاني والقرآن العظيم– عين وحدد هذه السورة التي وصفها سابقاً بأنها أعظم السور في القرآن، وفي هذا الحديث كذلك التعريف بلام الاستغراق في قوله –السور– فهو بهذا اللفظ يستغرق جميع سور القرآن الكريم كاملاً، وكذلك التعريف بالضمير المتصل –هي– لتمكين ما بعده في ذهن الصحابي المخاطب وتشويقه إليها، وكذلك التعريف بالموصولية في قوله –الذي أوتيته– لتعظيم شأن هذه السورة وزيادة الاهتمام بها، وتعدد التعريف في هذا الحديث دلالة على اختصاص سورة الفاتحة بهذه الفضيلة من بين سور القرآن الكريم.

ومن معاني الكناية عن عظمة الجثة والجاه عند الناس في التعريف بلام العهد الكنائي في قوله صلى الله عليه وسلم" **يؤتى بالرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**"[2] بشاهد القرينة اللفظية –لا يزن– فهو بهذا التعريف لا يقصد حقيقة رجل بعينه ولا جنس الرجال دون النساء ولا جميع الرجال العظماء السمان، بل يقصد من كان عظيم البنية والجاه عند الناس، المتكبر والمتغطرس الذي ليس له أعمال صالحة تثقل ميزانه وترفع درجته، الذي جل همه شهواته وملذاته، فقد قال صلى الله عليه وسلم "مَا مَلأَ ابن آدم وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ"[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم "الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ"[4].

وكذلك من التعريف بلام العهد الكنائي قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل "**وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"[5] فقوله –أنا الدهر– لا يعني أن لام الدهر لام الحقيقة؛ لأن الدهر

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم)، رقم الحديث (٤٧٢٩)

(3) أخرجه أحمد في **المسند**، مسند الشاميين، حديث المقدام بن معدي كرب، برقم (١٧١٨٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(4) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معي واحد، برقم (٥٣٩٣).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

ليس من أسماء الله، بل هي لام العهد الكنائي؛ لما ورد بعد هذا اللفظ من توضيح لمعناها "**بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**" قال الخطابي: "قوله: أنا الدهر، معناه أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التي تنسبونها إلى الدهر"[1].

أما اللام في قوله صلى الله عليه وسلم "**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِير**"[2] فهي لام الحقيقة، فالله هو الأعلى فوق كل شيء والأكبر من كل شيء، وفي هذا اللفظ كذلك تعريف بالضمير: هو، تعظيماً وإجلالاً ومهابةً.

ومن التعريف باللام قوله صلى الله عليه وسلم "**البينة أو حد في ظهرك**"[3] فاللام في –البينة– لام الحقيقة؛ إذ هو يطلب من هلال إحضار البينة الصادقة التي تثبت ادعاءه.

ومن أنواع التعريف: التعريف بالموصولية، وقد سبق ذكر قوله صلى الله عليه وسلم "**والقرآن العظيم الذي أوتيته**".

ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**"[4] فتعريفهم بالاسم الموصول –الذين– لاستهجان التصريح باسمهم وللتنبيه على خطأ عملهم، وفي هذا الحديث كذلك تعريف باسم الإشارة –أولئك– والغرض من الإتيان به: التعريض بأهل الزيغ، والتنبيه على أنهم المقصودين بالوصف الذي يلي اسم الإشارة.

ومن التعريف بالموصولية، قوله صلى الله عليه وسلم "**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآن**"[5] والغاية من الصلة الإشارة بها إلى ثواب قارئ القرآن الكريم المتقن له والقارئ المجتهد الذي يتعتع فيه، وفيها كذلك التشويق إلى الخبر كون الصلة فيها بشارة لمن قرأ القرآن متقناً له أو كؤوداً عليه.

---

(1) الخطابي، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، ط١، ص١٩٠٤

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٧)

ومن أنواع التعريف: التعريف بالإضافة، والغرض الأساسي من الإضافة: التملك أو الاختصاص، أي: اختصاص المضاف بالمضاف إليه وتملكه له، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "**أهل الجنة... أهل النار**"[1] فهذه الإضافة تعني اختصاص أهل الجنة بها واختصاص أهل النار بها.

ومن التعريف بالإضافة: لفظ" **أهل الكتاب**" حيث يرد، والغرض من هذه الإضافة: الاختصار؛ فقول اليهود والنصارى أطول وأثقل، ومن الأغراض التي قد يحملها هذا اللفظ تعظيم المضاف إليه.

ومن التعريف بالإضافة قوله صلى الله عليه وسلم" **لذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ**"[2] والإضافة هنا مجازية، المقصد منها فوات الحقوق والنفوس وضياعها، وفي هذا اللفظ تنكير للمضاف إليه –قوم– الغرض منه: تكثير ما قد يضيع من الحقوق بسبب قبول الدعاوي بلا يمين وبينات.

ومن اجتماع أكثر من نوع في تعريف الإسناد، التعريف بالإضافة والإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم على لسان الرحم لما أخذت بحقو الرحمن" **هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ**"[3] فالإشارة؛ لتعظيم المقام وتشريفه، والإضافة؛ لتعظيم ذلك الذنب ومبالغة في الاستجارة، وتنويهاً على علو منزلة الرحم عند الله تعالى.

ومن أنواع التعريف: التعريف بالعلمية، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم" **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**"[4] فالاسمان محمد وإبراهيم أعلام، الغاية من ذكرهما وفي هذا الحديث خاصة: التبرك بذكرهما والإعلاء من شأنهما.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً)، رقم الحديث (٤٥٥٢)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي)، رقم الحديث (٤٧٩٨)

ختام هذا المبحث تتضح دقة تعبيره صلى الله عليه وسلم؛ فألفاظه لا زيادة فيها مملة، وكل كلمة لها مقاصدها التي تزيد المعنى بياناً ووضوحاً، وما يحذف من ألفاظ يؤدي معانٍ عديدة تفتح أمام العقل آفاق التأمل والتدبر، وتحث على البحث عن المعاني التي يتضمنها هذا الحذف، ويقدم صلى الله عليه وسلم ألفاظاً ويؤخر أخرى اهتماماً بالمقدم أو تفضيلاً له، أو تشويقاً للمتأخر ومبالغة في شد الانتباه، وتقوية وقع الكلام في النفس، ونسق كلامه صلى الله عليه وسلم دقيق المقاصد، فيقدم لفظ على لفظ لمعانٍ لطيفة، وغايات فصيحة، لن تتم إلا بهذا التقديم أو التأخير.

ويُلحظ اتساق تنكير ألفاظ الأحاديث أو تعريفها مع الآيات التي تفسرها، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "**جنتان**" نكرة في لفظه صلى الله عليه وسلم وفي الآية التي فسرها نكرة {**صخ صم ضج**} (الرحمن: ٦٢)، وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**السبع المثاني والقرآن العظيم**" فقد أوردها صلى الله عليه وسلم معرَّفة، وأما اللفظ الوارد في القرآن الكريم فهو نكرة:" ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم".(الحجر: ٨٧)، فورودها معرفة في الحديث تفسيراً للنكرة في الآية.

ويأتي البيان النبوي بالنكرة المضافة لنكرة لبيان معنى لفظ نكرة مبالغة في التحقير والتقليل، في قوله صلى الله عليه وسلم "**لا يزن عند الله جناح بعوضة**" جناح وبعوضة نكرتان أضيفتا لبعضهما لتعريف المعنى، وورد لفظ وزن في الآية:" أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا".(الكهف: ١٠٥)، نكرة، ففسره صلى الله عليه وسلم بنكرات مثله جناح بعوضة.

ويتلاءم الأسلوب النبوي مع الأسلوب القرآني العظيم في قوله صلى الله عليه وسلم "**فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ**" مع الآية التي فسَّرتها:" حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ".(الرحمن: ٧٢)، فقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم "حور" بـ "أهل" جمع وتنكير.

وقد يتم التعريف بأكثر من معرف؛ والفائدة منه: تقوية التعريف وتمكينه، كما في حديث الرحم، ومن اتساق تقوية هذا المعنى بتعدد المعرفات، المبالغة في لفظ القطيعة في الآية المفسَّرة:" فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ".(محمد: ٢٢).

## الفصل الثالث: أَسَالِيبُ القَصْرِ وَالوَصْلِ والفَصْلِ.

ويتضمن هذا الفصل أساليب القصر وطرقه، وموارد الوصل بالواو، ومواضع الفصل وأسبابه.

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: القصر في النصوص النبوية.**

**المبحث الثاني: الوصل والفصل.**

## المبحث الأول: القصر في النصوص النبوية.

من أساليب توكيد الخبر وتقويته في النفس: أسلوب القصر، وهو "تخصيص شيء بشيء وحصره فيه"[1] بوسائل مخصوصة، تسمى هذه الوسائل: طرق القصر، وهي: النفي والاستثناء، والحصر بإنما، وتقديم ما حقه التأخير، والعطف بلا أو لكن أو بل.

والقصر إما حقيقي ويكون بحسب الحقيقة والواقع، وإما إضافي باعتبار الوصف أو بالإضافة أي: النسبة إلى شيء معين، ولكونه إضافياً –لا اعتبار للحقيقة فيه– فإنه يُقَسَّم تبعاً لحال المخاطب، فهو إما قصر إفراد أو تعيين أو قلب، وتبعاً لهذا فيكون القصر: إما قصر صفة على موصوف أو قصر موصوف على صفة.

### قصر الصفة على الموصوف:

قال صلى الله عليه وسلم"**انْظُرُوا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ، فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا**"[2] قصر صفة الصدق على عويمر في حالة ولادة مولود فيه صفات الرجل الذي زنى بالمرأة، وقصر صفة الكذب على عويمر إن وُلد المولود وفيه صفات عويمر، قصرٌ إضافي يعيّن موقف عويمر؛ لإزالة الشك حول هذا المولود.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**"[3] قصر حقيقي، فيه إثبات الهلاك على من يُناقش في حسابه، والنجاة يومئذٍ مخصوصة لمن أوتي كتابه بيمينه، قال تعالى: {**تز تم** تن تى تي **ثر ثز ثم ثن ثى** } (الانشقاق: ٧ – ٨).

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص١٤٧

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فسوف يحاسب حساباً يسيراً)، رقم الحديث (٤٩٣٩)

**قصر الموصوف على الصفة:**

قال صلى الله عليه وسلم " **إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ**"[1] قصر إضافي لتخصيص المسكين الحقيقي، وهو الذي جمع بين الفقر والعفة عن السؤال، فهو المستحق للشفقة والتصدق عليه وشموله بالزكاة والصدقات والكفارات، وورد هذا القصر بأسلوب الحصر بإنما؛ لإثبات عوزه وحاجته والتذكير به، ونفي ذلك عمن سواه ممن يقال عنهم مساكين.

وفي حديث الجنة والنار "**إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي**"[2] قصر حقيقي ، فمعلوم أن الله جعل النار عذاباً يعذب بها من يشاء، ولذا ورد الحصر بإنما وتقديم الضمير وتأخير الصفة؛ دلالة على اختصاص النار بالعذاب، والتذكير بسبب خلقها والتحذير من إغضاب الرب جل جلاله، ومن الملاحظ أن هذا الحصر ورد مع النار ولم يرد مع الجنة؛ مما يدل على سعة رحمته تعالى وعظيم فضله وإحسانه، وأنه يُدخِل الجنة برحمته وعفوه.

**طرق القصر:**

ورد القصر في هذا الكتاب بطريقي النفي والإثبات والحصر بإنما، فالنفي والاستثناء لإثبات أمر لشاكّ أو منكر أو متردد، كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حمل امرأة عويمر "**انْظُرُوا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ، فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا**"[3]، وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**".

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(لا يسألون الناس إلحافاً)، رقم الحديث (٤٥٣٩)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٥٠)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم" **وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**"[1] قصر صفة الكبرياء عليه جل جلاله إثباتاً لصفة الوجه والرداء له تعالى على الصفة التي تليق به عز وجل.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عن الجنة" **مَا لِي لا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ**"[2] فيه قصر موصوف على صفة، تخصيص الداخلين للجنة بالضعفاء، ظناً بأن ذلك منقصةً.

وأما الحصر بإنما: ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ**"، وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي**" جزماً وتأكيداً لأمر معلوم لا مرية فيه[3].

ومن طرق القصر: التقديم والتأخير، وقد سبقت دراسة هذا الباب من ناحية الأغراض البلاغية العامة له، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**بيدي الأمر**"[4] وقوله "**وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ**"[5] فتقديم الخبر فيهما يفيد الحصر الحقيقي؛ حصر صفة التدبير وتصريف الأرزاق والأفعال عليه وحده تعالى.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:( ومن دونهما جنتان)، رقم الحديث (٤٨٧٨)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٥٠)

(3) قال الجرجاني في **دلائل الإعجاز**: "إذا ادخلوا إنما جعلوا ذلك في حكم الظاهر المعلوم الذي لا يُنكر ولا يُدفع ولا يَخفى" ط٥، ص٣٣٢

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

## المبحث الثاني: الوصل والفصل

الكلام كلمات تكوّن جملاً، ثم الجمل بمجموعها تخرج معانٍ متعددة يجمعها مقصد واحد، وتحتاج الجمل المتجاورة لروابط تبين علاقتها ببعضها، وتفصّل المعاني المقصودة من هذه الجمل، وهذه الروابط إما وصلاً بينهن بالعطف بالواو، أو فصلاً يربط بين الجملتين باعتبار كل منهما وحدة منفصلة، ولكل من الوصل والفصل مواضع ومواطن ذكرها الجرجاني في دلائل الإعجاز، مجملها: حالة الجملتين -خبراً أو إنشاءً-، ودرجة الاتصال والانقطاع بين الجملتين، والمعنى الذي قد ينتج من اتصال أو انقطاع الجملتين[1].

### المطلب الأول: الوصل.

يوصل بين الجملتين بالواو: إذا اتحدتا خبراً أو إنشاءً وتناسبتا مناسبة تامة، أو إذا اختلفتا ولكن الفصل بينهما يوهم معنى غير المراد.

وقد ورد الوصل في حديثه صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة ومتعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم "**هِيَ السَّبْعُ الْمَثانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**"[2] اتحدت الجملتان لفظاً، ولا مانع من عطفهما؛ إذ المقصد المؤاخاة في الحكم على هذه السورة العظيمة، والمناسبة بينهما معنوية؛ إذ إن عظمة هذه السورة كعظمة القرآن الكريم كاملاً، فهي فاتحة الكتاب وأم القرآن وهي مثاني كما أن القرآن مثاني[3] شملت العلم والعمل، والتوحيد والعبادة.

ومن الوصل، قوله صلى الله عليه وسلم "**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**"[4] اتفقتا لفظاً، والغرض من وصلهما إلحاق الجملة الثانية في الحكم الإعرابي لإفادة التغير وعدم الثبات من الجملة الأولى- الفعلية

---

(1) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ط٥، ص٢٢٢-٢٤٨.

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

(3) يقول الجرجاني في **دلائل الإعجاز**: "واعلمْ أنه كما يجبُ أن يكونَ المحدَّثُ عنه في إحدى الجملتين بسببٍ من المحدَّثِ عنه في الأخرى، كذلكَ ينبغي أنْ يكونَ الخبرُ عن الثاني مما يَجْرِي مَجْرى الشبيهِ والنظيرِ أو النَّقيضِ للخبر عن الأولِ" ط٥، ص٢٢٥

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، رقم الحديث (٤٤٧٧)

المضارعة– وإفادة الثبوت والقطعية من الجملة الثانية –الاسمية–، فاستوجب الوصل بينهما بالواو لاتحادهما اللفظي ولتناسب المشاكلة القائمة بينهما: التغير في الأولى والثبات في الثانية.

ومن الوصل، قوله صلى الله عليه وسلم" **الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**"[1] اتحدتا لفظاً وعاملهما واحد، فقوله –من المن، وماؤها شفاء للعين– خبران للمبتدأ –الكمأة– فلزم وصلهما بالواو لاشتراكهما في الحكم.

ومن المؤاخاة في الحكم الإعرابي، قوله صلى الله عليه وسلم" **فبدلوا وقالوا**"[2] والمناسبة من وصل الجملتين بيان نوع التبديل الذي بدله بنو إسرائيل وهو تبديل في القول الذي أمروا بقوله، وقوله صلى الله عليه وسلم" **يخفض ويرفع**"[3] ومناسبته التضاد بين الجملتين، وقوله صلى الله عليه وسلم" **أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**"[4] والمناسبة بين هذه الجمل ظهور الضعف الجسدي والإيماني فيها جميعا[5]، وقوله صلى الله عليه وسلم"**مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**"[6] ومناسبة الوصل بينهن كون هذه الثلاث الحواس هي المنافذ الأساسية للمدركات العقلية البشرية[7].

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى)، رقم الحديث (٤٤٧٨)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(ومنكم من يرد إلى أرذل العمر)، رقم الحديث (٤٧٠٧)

(5) قال تعالى:" يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيف". (النساء: ٢٨)؛ لما كان الضعف ملازماً لفطرة البشر، كانت الاستعاذة لازمة للتخفيف مما يحدثه الضعف من آثار في الإيمان وفي البدن.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(7) ويعضد هذا ما ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع عند بلوغ الضلال أشد مراحله وذلك عندما يطبع على القلب ويعمى البصر ويصم السمع، فإذا تعطلت هذه المدركات فلا وعي ولا إدراك للإنسان بدونها، إذ يصبح كالجماد؛ لا يميز بين حق أو باطل، كالكوز مجخياً،" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ". (البقرة: ٦ –٧)

ومن اتحاد الجملتين لفظاً قوله صلى الله عليه وسلم "**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ**"[1] والمناسبة معنوية مقصدها الامتناع العقلي والنفسي لحدوث التكذيب والشتم من المخلوق تجاه خالقه، فلزم الوصل بين الجمل، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "**يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ**"[2].

ومن الوصل قوله صلى الله عليه وسلم "**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا**"[3] الوصل بين الجمل الثلاث لاتحادهن إنشاءً، وأما الجامع بين أول جملتين فهي لمطابقة التضاد بينهما؛ لجعل النهيين نهياً واحداً، والجامع بين الجملتين السابقتين وبين الجملة الثالثة –وقولوا– فهي لبيان المنهج الذي يتبعه المؤمن بعد توقفه عن التصديق والتكذيب.

ومن المطابقة بالتضاد قوله صلى الله عليه وسلم "**لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**"[4] والجامع بينهما: هو الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

ومن الوصل: قوله صلى الله عليه وسلم "**فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ**"[5] اتحدت الجمل خبراً، ومناسبة الوصل بينها ظهور معاني العظمة والقوة بهذه الأوصاف.

ومن الوصل: قوله صلى الله عليه وسلم "**الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**"[6] اتفقت الجملتان خبراً، والمناسبة بينهما: أن اسمي العلي والكبير أنسب للحق؛ لأن قوله –جل وعلا– حق محض، إذ "هو العليُّ بذاتِه وقهرِه وعلوِّ قدره، الكبير على كل شيء"[7]، وفي هذا الحديث وصل آخر في قوله صلى الله عليه وسلم "**فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ**" والغرض منه إشراك الجملة

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، رقم الحديث (٤٤٨٥)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، رقم الحديث (٤٦٢١)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(7) نخبة من العلماء، **التفسير الميسر**، ط٤، ص٤٣١ تفسير سورة سبأ، آية ٢٣.

الثانية في الحكم الإعرابي للجملة الأولى وجامعهما التشبيه، وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم" **هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآه**"[1] والمناسبة ارتباط المعنى الإخباري في الجملتين.

ومن الوصل: قوله صلى الله عليه وسلم "**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ**"[2] اتفقت الجملتان خبراً والجامع بينهما وصف أحداث يوم القيامة، وعظمته تعالى، وهوان هذا الكون أمام قوته وجبروته.

ومن الوصل: قوله صلى الله عليه وسلم" **فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ**"[3] والمناسبة: بيان الاصرار على تحريمه صلى الله عليه وسلم للعسل.

وختاماً في الوصل قوله صلى الله عليه وسلم" **بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**"[4] اتفقت الجملتان خبراً، والجامع بينهما القرب الشديد بين زمنهما وتتابع حدوثهما.

ختام هذا المبحث نلحظ مدى البلاغة النبوية الرائعة في وصل الجمل والربط بينها، وقوة الجوامع التي تربط معانيها، بأسلوب سلس بسيط لا يتأتى لأحد غيره صلى الله عليه وسلم.

**المطلب الثاني: الفصل.**

سبق أن الوصل لا يكون إلا إذا اتفقت الجملتان لفظاً -أي: خبراً أو إنشاءً- وبينهما مناسبة، أو إذا اختلفتا لفظاً ولكن الفصل يوهم خلاف المعنى المقصود، وبناء على هذا: فما سوى هذه المواضع فيحق فيها الفصل، أي: اختلاف الجملتين لفظاً، أو اتفاقهما لفظاً ومعنى[5]، وعدم قصد التشريك بين الجملتين،

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)، رقم الحديث (٤٨١٢)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٦)

(5) أي تكون تابعة لها إما توكيداً أو نعتاً أو بدلاً أو بياناً.

وعندما تكون الجملة الثانية جواب سؤال ينشأ من الأولى، وإذا توالت ثلاث جمل والثالثة جائزة العطف إما على الأولى أو الثانية لكن يمتنع عن الأخرى فيجب فيهن الفصل جميعاً.

ومن الفصل، قوله صلى الله عليه وسلم" **لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**"(1) ثلاث جمل يجوز عطف الثالثة على الأولى ويمتنع على الثالثة؛ فهنا وجب الفصل لشبه كمال الانقطاع، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا**"(2) يمتنع عطف الثانية على الأولى لإيهامها معنى غير المقصود؛ فالفاعلان يختلفان، ثم تتوالى جمل بعد الثانية يمتنع عطفها عليها لفساد المعنى الناتج عن العطف، فأوجب ذلك فصلهن جميعاً.

ومن الفصل لكون الثانية بدلاً أو نعتاً للأولى: قوله صلى الله عليه وسلم" **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي**"(3)، وقوله صلى الله عليه وسلم "**حِنطَةٌ حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ**"(4)، وقوله صلى الله عليه وسلم" **يَدُ اللَّهِ مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"(5)، ووصفه صلى الله عليه وسلم لمولود امرأة عويمر" **انْظُرُوا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ**"(6)، ومولود امرأة هلال" **أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ**"(7)، وقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل جلاله" **وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"(8)، ووصفه صلى الله عليه وسلم

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(يوم يكشف عن ساق)، رقم الحديث (٤٩١٩)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٤٧٤)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

(7) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(8) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

للجنة" **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ**"(1) وكذلك "**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**"(2).

ومن الفصل لكون الجملة الثانية جواباً للأولى: قوله صلى الله عليه وسلم" **وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**"(3)، وقوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلا اللُّقْمَةُ وَلا اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ**"(4)، وقوله صلى الله عليه وسلم "**نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ**"(5)، وقوله صلى الله عليه وسلم "**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ**"(6)، وقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل جلاله "**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ**"(7) وفي هذا اللفظ جامع غير تقدير السؤال، وهو التلازم التام بين الأذية والسب؛ إذ السب جزء من الأذية؛ أي بدل منها.

ومن الفصل لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً: قوله صلى الله عليه وسلم "**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**"(8)، وقوله صلى الله عليه وسلم "**فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ**"(9)؛ باعتبار قوله –تجاوز– دعاء، وأما باعتبارها خبر فإنه يقال عنها بأنه قد تكون جواباً لسؤال ينشأ من الجمل التي سبقتها، وقوله صلى الله عليه وسلم "**أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ**"(10)، وقوله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء في حديث الشفاعة "**أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ**

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (حور مقصورات في الخيام)، رقم الحديث (٤٨٧٩)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:( ومن دونهما جنتان)، رقم الحديث (٤٨٧٨)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، رقم الحديث (٤٤٧٧)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(لا يسألون الناس إلحافاً)، رقم الحديث (٤٥٣٩)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله)، رقم الحديث (٤٨١٤)

(7) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

(8) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

(9) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرون اعترفوا بذنوبهم)، رقم الحديث (٤٦٧٤)

(10) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

**بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟**"[1] وما يشابهه في هذا الحديث.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟**"[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم "**ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**"[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها "**وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي؟ عَمَّكِ**"[4] وكذلك في نفس الحديث "**ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ**"، وقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل جلاله "**أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**"[5]، وقوله صلى الله عليه وسلم "**إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْد**"[6]، وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**وَقَدْ حَلَفْتُ، لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**"[7].

ومن الفصل لكمال الانقطاع لاختلاف الجمل لفظاً: قوله صلى الله عليه وسلم "**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ**"[8]؛ فالجملة شرطية وفيها جملة خبرية لا محل لها من الإعراب، فلزم الفصل لدفع توهم غير المراد ولعدم قصد التشريك.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه)، رقم الحديث (٤٧٩٦)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)، رقم الحديث (٤٨١٢)

(6) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) الآية، رقم الحديث(٤٩٠٠)

(7) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

(8) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) إلى قوله: (ويونس وهارون وسليمان)، رقم الحديث (٤٦٠٤)

ومن الفصل: قوله صلى الله عليه وسلم "**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**"(1) اتحدت الجملتان خبراً، وسبب الفصل لكمال الاتصال بينهما؛ مبالغة في جعل الجملتين معنى واحداً لبيان المقياس الحقيقي للأوزان يوم القيامة (2).

ومن الفصل بين الجمل لعدم التعلق بينهن: قوله صلى الله عليه وسلم "**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ**"(3) فالفصل في الجملة الثانية لكونها جملة مستقلة عنها؛ لا تشاركها ولا تتبعها، وأما الفصل في الثالثة فلوقوعها في جواب سؤال ينشأ من الجملة الثانية.

ومن الفصل لغرض عدم المؤاخاة بين الجملتين: قوله صلى الله عليه وسلم "**وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ**"(4).

وآخر ما نختم به مبحث الوصل والفصل قوله صلى الله عليه وسلم "**الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**" ثم تكرارها بعد ذلك بقوله "**الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**"(5) ففصل بين الجملتين في اللفظ الأول ثم وصل بينهما في اللفظ الثاني، وسبب ذلك يظهر في تفسير سبب الفصل أولاً ثم سبب الوصل ثانياً؛ ففصْلُهما كان لكمال الانقطاع بينهما على تقدير الأولى جملة أمر والثانية إخبار بحكم القذف بدون بينة وأنه واقع بك إن لم تحضر البينة، وأما سبب الوصل مع ظهور الفصل لاختلاف اللفظين؛ فلأن الفصل سيخل بالمعنى المراد لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً؛ فلزم وصلها لإزالة الخطل.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم)، رقم الحديث (٤٧٢٩)

(2) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أجتني لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأراك، قال فضحك القومُ من دِقَّة سَاقي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: من دقة ساقيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، لهي أثقل في الميزان من أُحد. أخرجه أحمد في المسند، مسانيد المكثرين، مسند عبد الله بن مسعود المقدام، برقم (٣٩٩١)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

(5) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

وهذا يُظهر جلياً دقة بيانه صلى الله عليه وسلم، وجريانِ أساليب اللغة وفنونها على لسانه صلى الله عليه وسلم، وبراعته في تقليب الألفاظ وتنويعها بما يخدم معانيه ومقاصده التي يرمي إليها.

ويُدلِلُ كذلك على ارتباط التفسير النبوي بالقرآن الكريم في أساليبه وفنونه، وإفادته منه، ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**" يفسر قوله تعالى:" وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا". (البقرة: ٢٢) والوصل فيهما ظاهر مع اختلاف السبب؛ ففي الآية لدفع توهم معنىً آخر، وفي الحديث للاشتراك في الحكم.

وفي تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا". (البقرة: ٥٨)، قال صلى الله عليه وسلم "**فبدلوا وقالوا**" اتباعاً لسياق الآيات في وصل جمل الأفعال الواردة فيها.

ويظهر في فصل جملة "**فَسُبْحَانِي، أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**" كما في نسق الآية المُفَسرة:" وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ". (البقرة: ١١٦)، لأن العطف يوهم الاشتراك بين اللفظين، وهذا جلي ظاهر؛ فالأول حكاية عن قولهم والثاني تنزيه وتقديس له تعالى.

ومن روائع توافق التفسير النبوي مع أسلوب النص القرآني تفسير قوله تعالى:" وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ". (التوبة: ١٠٢)، قال فيها صلى الله عليه وسلم "**فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ**" ففصْل –الدعاء والترجي– في الآية وتفسيرها؛ يبين العلاقة ويجلي المعنى ويوضحه، ويعضد القول بأن معنى (تجاوز): الدعاء وليس الإخبار.

ومن العلاقة المتينة بين الآية وتفسيرها، اتباع سياق الآية في تفسيرها فصلاً أو وصلاً ولو كان ذلك بسبب آخر؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم "**يؤتى بالرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**" بما يتفق مع أسلوب الآية:" أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا". (الكهف: ١٠٥).

ومن ذلك، الفصل في الأوصاف النبوية للجنة؛ كما ورد آنفاً في سورة الرحمن.

وكل هذا يبين مدى العلاقة المتينة بين الأسلوب القرآني والأسلوب النبوي، ونوع هذه العلاقة الوطيدة، بما يجعل حديثه صلى الله عليه وسلم مناطاً للإعجاز اللفظي والعلمي.

## الفصل الرابع: الإِيجَازِ والإِطْنَابِ والمُسَاوَاةِ.

عادة المتكلم في حديثه لا تخلو من ثلاث حالات: إما مسهِب في كلامه ووصفه، زائدة ألفاظه على معانيه؛ إما لفائدة أو بدونها، وآخر مُقلٌ في كلماته، مقتَضَبةٌ عباراته؛ يُتلذذ بذلك حيناً، ويُستكره حيناً، وبينهما معتدلٌ؛ لا مسرف ولا مقتر، ينطق ما يعني ويعني ما ينطق، لا يزيد ولا ينقص، وهذه المناهج في الحديث هي: الإطناب والإيجاز والمساواة، ولكل مقام منهج يلائمه. ويتضمن هذا الفصل دراسة تناسب أعداد الألفاظ مع المعاني التي تحملها، وهو ما يعرفه البلاغيون بالإيجاز والإطناب والمساواة.

**وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول: المساواة.**

**المبحث الثاني: الإيجاز.**

**المبحث الثالث: الإطناب.**

## المبحث الأول: المساواة.

المساواة من التساوي، مساواة الألفاظ للمعاني المقصودة بلا زيادة في العبارات ولا نقصان[1].

وهي الأصل في الحديث بين الناس ولا يُعدل عنها إلا لفائدة بلاغية أو ضرورة حديثية، وفي حديثه صلى الله عليه وسلم نجد كثيراً من الألفاظ التي تساوي المعاني التي يقصدها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

قوله صلى الله عليه وسلم "**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ**"[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم "**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ**" وفي نفس الحديث "**الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ**"[3] فنرى جلياً تساوي الألفاظ مع المعاني التي تحملها.

وقوله صلى الله عليه وسلم "**يؤتى بالرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**"[4] وفيه إيصال للمعنى المقصود بألفاظ دقيقة لا تزيد ولا تنقص.

وفي إجابته صلى الله عليه وسلم على السائل الذي قال: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فقال "**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**"[5] إجابة بليغة بلا تطويل في التفسير ولا إخلال في الوصف مما يجعل بسطاء الناس يفهمونه

---

(1) عرّف علي الجرجاني في كتاب معجم التعريفات الإيجاز والإطناب ولم يتعرض للمساواة، وعلى غرار تعريفاته فإن المساواة: أداء المقصود بما يساوي العبارة المتعارفة.

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً)، رقم الحديث (٤٥٥٢)

(4) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم)، رقم الحديث (٤٧٢٩)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) الآية، رقم الحديث (٤٧٦٠)

بدون الحاجة إلى إعمال فكرٍ أو تقليب ألفاظٍ على المعاني، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لنسائه "**إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ**"(1).

ومن المساواة قوله صلى الله عليه وسلم "**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ**"(2)، وقوله صلى الله عليه وسلم "**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ**"(3).

ومن التوازن بين الألفاظ والمعاني المراد إفهامها للسامع، قوله صلى الله عليه وسلم "**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**"(4).

(1)أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) إلى قوله: (إن ذلكم كان عند الله عظيماً)، رقم الحديث (٤٧٩٥)

(2)أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)، رقم الحديث (٤٨١٢)

(3)أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله:(ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله)، رقم الحديث (٤٨١٤)

(4)أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب: (أفرءيتم اللات والعزى)، رقم الحديث (٤٨٦٠)

## المبحث الثاني: الإيجاز.

الإيجاز: هو الاختصار، "أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة"[1]، والإيجاز هو المعيار الذي يعرف به الفصيح البليغ؛ فلا يقدر على إيجاز المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة فصيحة متمّة للمعنى ومستوفية له إلا البلغاء الفصحاء، كما في حديثه صلى الله عليه وسلم، ولا ريب؛ فقد أوتي جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه.

وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري ألفاظٌ كثيرةٌ موجزة، مع أنه تفسير وتوضيح للآيات إلا أنه أوجز في العبارات إيجازاً يجعل المتأمل فيها يقف أمامها كثيراً، ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**"[2] معانٍ كثيرة: طبية وغذائية وزراعية، كما وقف الشراح [3] مع هذا اللفظ كثيراً، وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ**"[4]، وقوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**"[5].

وحيث إن الإيجاز تعبير بألفاظ أقل، فهو بحذف ألفاظ أو قصر ألفاظ معدودة على معانٍ متعددة.

### المطلب الأول: الإيجاز بالقصر.

وقد سبق دارسة مواضع الحصر في موضعه، إلا أن إيجاز القصر أوسع منه؛ فهو تضمين العبارات القليلة المعان الكثيرة، وأما القصر فله طرق مخصوصة، وسأتعرض للألفاظ الموجزة بغير طرق القصر.

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص٣٨

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى)، رقم الحديث (٤٤٧٨)

(3) شرح ابن حجر هذا الحديث في عدة صفحات ط١ ج١٠، وشرحه النووي ط٤ ج١٤ ص ٢٠٢ في أكثر من صفحة وغيرهم من شراح الحديث

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) إلى قوله: (ويونس وهارون وسليمان)، رقم الحديث (٤٦٠٤).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فسوف يحاسب حساباً يسيراً)، رقم الحديث (٤٩٣٩)

ففي قوله صلى الله عليه وسلم" **هَذَا أَهْوَنُ**"[1] إيجاز لضيق المقام عن التطويل لإظهار الخوف والجزع.

وقوله صلى الله عليه وسلم" **قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**"[2] فيتضمن هذا اللفظ معانٍ عديدة تكاد تعم جميع أبواب وأنواع الصدقة والإنفاق، تأكيداً على أن ما كان إنفاقه لله فهو يخلفه.

وقوله صلى الله عليه وسلم" **إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**"[3] فاللفظ موجز لم يفصّل فيه نوع الظلم ولا كيفية الأخذ ولا مدته، للتهويل والتخويف.

وقوله صلى الله عليه وسلم "**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**"[4] جمع وصف نعيم الجنة التي عرضها السماوات والأرض في ثلاث جمل؛ لتقريب الصورة للذهن واختصارها، ولاستثارة النفس دائماً لبذل المزيد من أجل هذه الجنة والصبر على الطاعة.

وقوله صلى الله عليه وسلم "**بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**"[5] إيجاز بديع، يختصر الزمن في كلمتين، لشدة تقارب وقوعهما.

**المطلب الثاني: الإيجاز بالحذف.**

سبق دراسة الحذف، فلن أسهب في سرد أمثلته هنا، وسأقتصر على ما لم أورده هناك.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود "**اقْرَأْ عَلَيَّ**" إيجاز بالحذف، والقرينة المعنوية الدالة على المقصود واضحة، فقد أوجز صلى الله عليه وسلم طلبه لابن مسعود ابتعاداً عن الحشو والتطويل،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم)، رقم الحديث (٤٦٢٨)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)، رقم الحديث (٤٦٨٦)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٦)

وليترك لابن مسعود رضي الله عنه اختيار السورة التي يقرأ منها. ثم قوله "**أَمْسِكْ**"[1] إيجاز لضيق المقام والحال عن التطويل في الكلام.

وقوله صلى الله عليه وسلم "**فَاحْذَرُوهُمْ**"[2] بعد أن ذكر أهل الزيغ، فيه إيجاز بحذف تمييز الجملة؛ والغرض من ذلك شمول الحذر لأعمال هؤلاء وأقوالهم ومجالسهم وما إلى ذلك.

وقوله صلى الله عليه وسلم "**لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**"[3] فالحذف في هذا اللفظ لوجود قرينة لفظية سابقة تدل على هذه الكلمة "**قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ**"، والغرض من ذلك الحفاظ على ترابط الجمل في الحديث، والبعد عن الحشو والتطويل.

ومن الإيجاز بالحذف قوله صلى الله عليه وسلم "**يُلْقَى فِي النَّارِ، {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**"[4] حذف جمل بأكملها إلا أن سياق الحديث يدل على مقاصدها، وغرضه زيادة التهويل والتخويف، فما الذي يلقى في النار؟ ومن الذي يضع قدمه؟ وهكذا تهويلاً وتخويفاً.

وموضوع الحذف ومواضعه وأغراضه مستوفى في مبحثه بإسهاب.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)، رقم الحديث (٤٥٨٢)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث (٤٨٤٨)

## المبحث الثالث: الإطناب.

الإطناب هو "أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة"[1]، ولا يخرج إليه المتحدث إلا لفائدة يلتمسها، وإلا عُد ذلك حشواً وتطويلاً لا فائدة منه، وسبباً في إملال السامع وبالتالي إعراضه عن المتكلم وكلامه.

### المطلب الأول: دواعي الإطناب البلاغية.

ومن أهم الأغراض التي يجنح المتحدث بسببها إلى الإطناب: التوكيد والتقرير؛ توكيد المعنى وتقريره في النفس وتقويته، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**"[2] اعتراض جملة: (ولم يكن له ذلك) وتكرارها؛ لتأكيد النفي وتقرير معنى امتناع صدور مثل هذا السلوك من ابن آدم، ومن دواعي اعتراض الجملة السابقة وجملة (فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولداً): تنزيهه وتعظيمه تعالى عما لا يليق به، وتوبيخ المرتكبين لمثل هذه الأمور.

ومن أهم دواعي الإطناب: ترسيخ صورةٍ مقصودةٍ في الذهن لغيب لم يطلع عليه الإدراك، بتكرار الأوصاف بألفاظ متعددة ومتغايرة ووصف الأحداث بأساليب التصوير والتمثيل بالمحسوس، وتكرار ذكر الأهوال والمواقف، بما يجعل العقل يغوص في التأمل فيها وتصورها والشعور بمشاعر وأحاسيس تجاهها، وهذا الغرض من أهم دواعي الإطناب، ويتجلى هذا الغرض في وصف أحداث يوم القيامة وأهوالها؛ كما في حديث الرؤية[3]، وحديث الشفاعة[4]، وحديث ذبح الموت[5]، قال السكاكي في دلالة التفصيل في ذكر

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص٢٨

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)، رقم الحديث (٤٧١٢)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

أحوال يوم القيامة:" لنقش صورة ذلك اليوم في ضمائرهم"[1]، ومعلوم أن النقش يحتاج للتفصيل الدقيق والتوضيح والتقصي.

ومن دواعي الإطناب: توضيح المعنى المراد ودفع الإيهام، فالإيجاز قد يوهم معنى غير مقصود؛ لذا يجب الإطناب، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا:" آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**"[2] فالمقصد من هذا اللفظ التوقف لا التكذيب ولا التصديق؛ لذا فصل في النهي ثم نبه على الطريقة المثلى في التعامل مع أخبار بني إسرائيل وأقوالهم.

ومن دواعي الإطناب: التلذذ بمناجاة المعبود ودعائه والتوسل إليه، ومن ذلك دعائه صلى الله عليه وسلم "**اللَّهُمَّ (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)**"[3] فقد كان يؤدي المعنى لو قال (اللهم آتنا في الدنيا والآخرة حسنة) إلا أن من كمال العبودية تطويل المناجاة والرجاء، ودعاء "**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**"[4] فقد كان بإمكانه صلى الله عليه وسلم جمعها في لفظ أو لفظين؛ إلا أنه لن ينال بذلك لذة المناجاة والمسألة.

**المطلب الثاني: أقسام الإطناب.**

حاول العلماء حصر الأساليب التي يكون بها الإطناب، ولكن اختلفوا في تفصيلها وعددها، إلا أنه بالإجمال يمكن حصرها في ثلاثة أقسام، أولاها: الجمل التي لا محل لها من الإعراب، كالجمل الاعتراضية

(1) السكاكي، **مفتاح العلوم**، ط٢، ص٢٨٢

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، رقم الحديث (٤٤٨٥)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) الآية، رقم الحديث (٤٥٢٢)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(ومنكم من يرد إلى أرذل العمر)، رقم الحديث (٤٧٠٧)

والمذيَّلة والموشَعَة[1] والمبالغَة والمحترسة والمتممة، وثانيها: الألفاظ التي تخصص بعد عام أو تعمم بعد خاص أو توضح بعد إبهام، وثالثها: التوابع التي تزيد المعنى جلاءً وتوكيداً.

**١- الجمل الإضافية:**

قال صلى الله عليه وسلم "**فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ**"[2] فجملة – ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر– جملة اعتراضية؛ الغرض من إيرادها توضيح هيئتهم لغرابة هذا الأمر على العقل البشري، وبيان كيفية وصولهم لأبواب السماء.

ومن الاعتراض، قوله صلى الله عليه وسلم "**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**"[3] فجملتي (وهو حافظ له، وهو يتعاهده وهو عليه شديد) معترضتان؛ داعي ذلك: بيان حال من يقرأ القرآن، لتقرير الثواب بعد ذكر الحال.

ومن الإيغال في المبالغة، قوله صلى الله عليه وسلم "**فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ، كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ**"[4] فإدراج لفظ (ما أنت راء) وتكراره، مبالغة يصح المعنى بإبدالها بلفظ: شطر حسن وشطر قبيح؛ إلا أنها في وصفٍ لشيء من أحوال القيامة فيجمُل الإطناب ويحسن.

(1) التوشيع: التفريق والتوزيع، قال علي الجرجاني:" هو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول". الجرجاني، **معجم التعريفات** د.ط، ص٦٢.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، رقم الحديث (٤٧٠١)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٧)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرون اعترفوا بذنوبهم)، رقم الحديث (٤٦٧٤)

ومن التوشيع: قوله صلى الله عليه وسلم في تفسير {**صخ صم ضجـ**} (الرحمن: ٦٢): "**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**"[1] فالتفصيل والتقسيم زاد المعنى جلاء وبياناً، وزاد في النفس اشتياقاً ورجاءً.

ومن الاحتراس: قوله صلى الله عليه وسلم "**فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ**"[2] فقوله (وقد حلفت) احتراساً لئلا تتوهم عودته لما حرمه على نفسه.

وأما التذييل، ففي قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها "**تَرِبَتْ يَمِينُكِ**"[3] والغرض منها: الزجر ولفت الانتباه.

**٢- التخصيص والتعميم والتوضيح:**

قال صلى الله عليه وسلم "**يَدُ اللَّهِ مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"، "**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**"[4] فهذه الجمل المتتابعة للإيضاح بعد الإجمال، إيضاح لقوله -يد الله ملأى-، والغرض من ذلك تقرير سعة خزائنه تعالى التي لا تنقص ولا تنفذ.

**وقال** صلى الله عليه وسلم "**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**"[5] فيه ذكر للعام -آل محمد، آل إبراهيم- بعد الخاص -محمد، إبراهيم-، وغرضه: التنبيه على فضيلة الخاص حتى كأنه مستقل عن العام الذي يليه، مع أن ذلك الخاص جزء من ذلك العام، وغرضه كذلك: قصد العموم بعد تخصيص الخاص بفضيلته.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:( ومن دونهما جنتان)، رقم الحديث (٤٨٧٨)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث (٤٩١٢)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه)، رقم الحديث (٤٧٩٦)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي)، رقم الحديث (٤٧٩٨)

ويضاد التعميم التخصيص كدعائه صلى الله عليه وسلم للأنصار "**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ**"[1] فتعميم الدعاء ثم التخصيص، غرضه التأكيد على فضيلة الأنصار عموماً ثم إدخال ذريتهم في هذه الفضيلة، وبهذا تتقرر للأنصار المزية، بذكرهم أولاً بطريق العام ثم ذكرهم ثانياً بطريق الخاص.

٣- **التوابع**[2]:

وأهم هذه التوابع إطناباً التوكيد بأسلوب التكرار، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلا اللُّقْمَةُ وَلا اللُّقْمَتَانِ**"[3] غرض التكرار بيان قلة ما يسكت الفقير السائل ويرده، توكيداً بتكرار اللفظ وتكرار المعنى، ليتهيأ السامع ويتشوق لمعرفة المسكين الحقيقي الذي يقصده صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم "**قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ**"[4] وقوله "**إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ**"[5] فقد كان يكفي التعبير بلفظ (فيكما) و (بيننا)؛ إلا أن تكرار الحرف والظرف أفاد تقرير كلا الطرفين على حقهما، وأن كل منهما مستقل بذاته عن الآخر مرتبط بحقه تجاهه.

ومما يحسن به ختم هذا الفصل الحديث القدسي "**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**"[6] فقد ذكرت إيجازه من وجه شمول ألفاظه على معانٍ كثيرة، ونجد فيه إطناباً بتكرار النفي، وغرض ذلك تقوية النفي وإثارة النفس وتحفيزها، فبما أنه شيء لم تطلع عليه

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقون لا يفقهون)، رقم الحديث (٤٩٠٦)

(2) كالتوكيد والتمييز والنعت والبدل والعطف.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(لا يسألون الناس إلحافاً)، رقم الحديث (٤٥٣٩)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء)، رقم الحديث (٤٧٤٥)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إلا المودة في القربى)، رقم الحديث (٤٨١٨)

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث (٤٧٨٠)

البشرية، فإن تكرار نفي اطلاع البشر عليه يزيد في النفس رغبة في الحصول عليه والوصول إليه، وهذا الحديث العظيم شمل منهجين متضادين بأسلوب سهل بسيط، الإيجاز في ألفاظ المعنى المقصود والإطناب في ألفاظ إثبات هذا المعنى.

وفي العلاقة البلاغية بين النص النبوي والآيات المفسرة، نجد في هذا الفصل علاقة تكاملية بين الحديث والآية، فإذا كانت الآية فيها إطناب أتت السنة مجملة غالبا، إما مبينة لمعنى قد يخفى أو يلتبس، أو دالة على سنة ينبغي اتباعها، أو نحو ذلك مما ليس له علاقة مباشرة بشرح المعنى وتفسيره، وأما إن كانت الآية موجزة أتت السنة مطنبة مسهبة لبيان المعنى.

فكما في دعائه صلى الله عليه وسلم "**اللَّهُمَّ {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**"(1) نرى كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسهب في تفسير هذه الآية ولم يتحدث عنها بل ردد الدعاء؛ ليعلم الصحابة الأسلوب الأمثل عند قراءة هذه الآية وما شابهها من الأدعية القرآنية.

وفي تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ".( آل عمران: ٧)، اكتفى صلى الله عليه وسلم بالتحذير من هؤلاء الزائغين، فقد فصلت الآية شأنهم وبينت صفتهم، فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها "**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فاحْذَرُوهُم**"(2).

وأما في تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا". (الأحزاب: ٥٦)، فقد بين لهم صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وسردها لهم كما ينبغي لهم أن يقولوا، فقال" **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ**

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) الآية، رقم الحديث (٤٥٢٢)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧).

**عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**"[1]، ومثل هذا في تفسيره صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: {بح بخ بم بهتج} (البقرة: ٢٧٣)، فقد فصل في صفة هؤلاء المساكين وأطنب فيها "**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلا اللُّقْمَةُ وَلا اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ**"[2].

وغير ذلك من الشواهد على التكامل بين النص القرآني والنص النبوي في الإيجاز والإطناب.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي)، رقم الحديث (٤٧٩٨)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(لا يسألون الناس إلحافاً)، رقم الحديث (٤٥٣٩)

## الفصل الخامس: خُرُوجُ الكَلَامِ عَلى خِلافِ مُقْتَضَى الظَّاهِر.

"إيراد الكلام على حسب ما تقدم من القواعد يسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر، وقد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر، ويورد الكلام على خلافه في أنواع مخصوصة"[1] ، ويسمى هذا العدول عن السياق: (خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر).

ويتضمن هذا الفصل دراسة المواضع التي ظاهرها مخالفة المعنى لسياق اللفظ، ومقتضى الحال، وقواعد الكلام في البلاغة والنحو.

**وفيه أربعة مباحث:**

**المبحث الأول: الالتفات.**

**المبحث الثاني: تجاهل العارف.**

**المبحث الثالث: التعبير عن زمن فعل بغيره.**

**المبحث الرابع: التغليب.**

(1) ناصف وديباب ومحمد وطموم، دروس البلاغة، د.ط، ص٨٤

## المبحث الأول: الالتفات.

الالتفات هو: "العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس"[1]، وهذا النوع من الالتفات المذكور هو الذي سار عليه ابن المعتز وقدامة، أما ابن الأثير فقد جعله أوسع من ذلك؛ فقد عد الانتقال من الماضي للمضارع أو الأمر أو العكس من الالتفات [2]، ثم يأتي السيوطي ويضع شروط الالتفات ويضيف فيه الانتقال من الجمع للمفرد أو المثنى والعكس، ويعرف الالتفات بأنه "نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر"[3]، وهذا تعريفٌ أشمل وأدق.

ونجد الالتفات في حديثه صلى الله عليه وسلم قد استغرق الأنواع الثلاثة التي ذكرها العلماء في أجمل صورها وأبدع معانيها، ففي قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: "**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**"[4]، لفظ –فاحذروهم– التفات من المفرد إلى الجمع، ومن الماضي للأمر، فقد اجتمع في هذا اللفظ الالتفات العددي والزمني، والغرض من ذلك المبالغة في تنبيه الأمة وتحذيرها من الإصغاء إليهم، وأن الخطاب ليس خاصاً بعائشة رضي الله عنها وحدها، كما يدل عليه ظاهر بداية الحديث.

ومن الالتفات: قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل جلاله في الحديث القدسي "**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ**"[5] فالانتقال من التكلم إلى الغائب يفيد بيان حقارة المفترين عليه تعالى فهم ليسوا أهلاً لما قالوه في حقه تعالى؛ لذا لزم الالتفات من التحدث عن عملهم إلى التأكيد على أنه لم يكن لائقاً منهم كعباد مخلوقين.

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص٣٢

(2) ابن الأثير، **المثل السائر**، ط١، ج١ ص٤١٥

(3) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، د.ط، ص٦٥٢

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

## المبحث الثاني: تجاهل العارف.

تجاهل العارف: "سوق المعلوم مساق غيره لنكتة"[1] وكأنه شيء يجهله، وهو أسلوب بلاغي تتعدد أغراضه، إلا أن أهم داعٍ يُجنح إليه، هو الزجر أو التوبيخ أو الذم، وقد يأتي للمدح والفخر.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**فيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا**"[2] فعندما يُسأل اليهود والنصارى والجواب معلوم؛ فهو لتوبيخهم وتقريرهم على شركهم، ليستحقوا العذاب.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**يُدْعَى نُوحٌ يوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**"[3] فالغرض من هذه الأسئلة تقريرهم على جحودهم وكفرهم، بأن نوح عليه السلام قد بلغهم، وأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد على الأمم بذلك، ومحمد صلى الله عليه وسلم يكون شهيداً على أمته.

---

(1) عبد المتعال الصعيدي، **بغية الإيضاح**، د.ط ج٤، ص٥٩

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)، رقم الحديث (٤٤٨٧)

## المبحث الثالث: التعبير عن زمن فعل بغيره.

يأتي تصريف الفعل لبيان الزمن الذي وقع فيه الفعل، فعندما يُعبر بالماضي فإنه للدلالة على انتهاء زمن وقوع الفعل، وعندما يُعبر بالمضارع فإنه للدلالة على تجدد وقوع الفعل واستمراريته حالاً أو مستقبلاً، أما لو عبر عن الفعل باشتقاق اسم الفاعل أو اسم المفعول منه، فإن ذلك للدلالة على أن هذا الفعل قد وقع ثم أصبح وصفاً لذلك الحال والزمن، وهذا المبحث عده ابن الأثير من باب الالتفات -كما سبق-.

### المطلب الأول: أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضي وعكسه.

في هذا الكتاب من صحيح البخاري استخدم الماضي كثيراً للتعبير عن أمور قد تحدث مستقبلاً من البشر أو عن أحوال وأحداث يوم القيامة، وهذان الغرضان هما أهم غرضين يستخدم فيهما الماضي في أمر حاليّ أو مستقبلي، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِك**"[1] فالفعلان (كذب، شتم) ماضيين، وهذا العمل قد يصدر بعد زمن هذا الحديث، والغرض من إيراده ماضياً: هو الإشارة إلى أن المقصود ليس زمن وقوعه بقدر ما المقصد هو ذات الفعل نفسه، وبيان بشاعة هذا الافتراء عليه سبحانه، فنفي الإنسان بعثه ونسبة الولد لله عز وجل، يحتم عليه العذاب الشديد، فإيراد الأفعال بالماضي إثبات للاستحقاق المباشر للعذاب لمن يقول مثل هذا القول.

ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم "**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ**"[2] فقوله (لذهب) وهو فعل ماضٍ لفظاً، أما معنىً فهو مبني على قبول دعاوى الناس بلا بينات وأيمان، وحينها لا محالة ستضيع حقوق الناس وأرواحهم.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً)، رقم الحديث (٤٥٥٢)

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ**"[1] فتنزيل الزمن الماضي على عمل مستقبلي، دلالة على أن من تجرأ وقال هذا القول فهو واقع في الكذب المحرم.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**"[2] فإنزال الزمن الماضي على نتيجة علمهم بما يعلمه صلى الله عليه وسلم؛ دلالة على أن ما هم فيه من اللهو والانشغال بالدنيا هو سبب الضحك الكثير والبكاء القليل.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم "**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ –أَوْ رَجُلٌ– مِنْ هَؤُلاءِ**"[3] فلم يستخدم الفعل الدال على الحال أو الاستقبال (سيناله) بل تعدى ذلك إلى النيل والانتهاء من ذلك، إثباتاً لصدق إيمانهم وحرصهم على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى التمسك بدينهم أينما كان.

هذا في معنى الإخبار عن جزاء أو حال يترتب على فعل معين، والغرض الأساسي من ذلك "تأكُد حصول الجزاء المترتب على في مقام الترغيب أو الترهيب، تصويراً له صورة الواقع ليُجْتَب أو ليلتزم"[4]، وهذا يحدث كثيراً في الجمل الشرطية للدلالة على تحقق وقوع الجواب إذا وقع الشرط، وسأتعرض للجمل الشرطية في نهاية هذا المبحث.

أما في معنى الإخبار عن أحداث القيامة، فهو يرد إثباتاً لحتمية وقوع هذه الأحداث، فالتعبير عنها وكأنها قد وقعت يحدث في النفس رهبةً وانزجاراً، ويساعد العقل على تصور تلك الأحداث أكثر من لو كانت بأسلوب المستقبل الذي يترك في النفس استبطاءً لوقوع تلك الأمور.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم "**يُدْعَى نُوحٌ يوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ**

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) إلى قوله: (ويونس وهارون وسليمان)، رقم الحديث (٤٦٠٤)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، رقم الحديث (٤٦٢١)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)، رقم الحديث (٤٨٩٧)

(4) كمال عز الدين، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، ط١، ص٣٥٢

**لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**"[1] تعبير بأفعال ماضية عن شيء لم يحدث بعد، وفيه من التصوير لذلك المشهد ما يجعل السامع لهذا الحديث يتصور ذلك الموقف تصوراً دقيقاً، وكأنه شيء قد وقع سابقاً، وأما في قوله (فتشهدون) عدل من الماضي إلى المضارع خروجاً بأذهان السامعين إلى المهمة التي تنتظرهم في ذلك الموقف، وبهذا الالتفات البديع يعيدهم إلى زمنهم الذين هم فيه، بعدما سار بعقولهم في أحداث ذلك المشهد العظيم.

ومن ذلك حديث الرؤية في قوله صلى الله عليه وسلم "**أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا**"[2] وفي هذا إثبات للرؤية يوم القيامة، خاصة أن ما سبق هذا اللفظ كلها أفعال لا تخالف مقتضى الظاهر، بل وردت بأسلوب المستقبل، فأتى هذا اللفظ ليؤكد رؤية الموحدين لربهم يوم القيامة "**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ...**".

ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم "**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**"[3] فالظاهر يقتضي القول (إلا يهلك) إلا أنه استخدم صيغة المضي لجعل الهلاك شيئاً واقعاً بمن يحاسب ويناقش في عمله يوم القيامة.

أما في التعبير عن الماضي أو الطلب بالمضارع، فأهم داعٍ لذلك هو "استحضار مدلوله في الحال، تقريراً له في النفس كالمشاهد"[4]، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم" **قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**"[5] فالفعلان (أَنْفِقْ، أُنفق) استخدما في الطلب وفي الإخبار، (إذا أنفقت سأنفق عليك) فاستخدامه طلباً، فللترفق مع الخلق والرحمة بهم، وتقريب المقصد إلى عقولهم، بأن الجزاء من جنس العمل، واستعير خبراً

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)، رقم الحديث (٤٤٨٧)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم الحديث (٤٥٨١)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فسوف يحاسب حساباً يسيراً)، رقم الحديث (٤٩٣٩)

(4) كمال عز الدين، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، ط١، ص٣٥٧

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

للدلالة على التجددية والثبوت، فكلما أنفقتَ أنفقتُ عليك، ولو عبر عنها بالمضي لكان يوهم بأن هذه النفقة تنقطع وتنقضي، فبهذا اللفظ جعل صورة المعاوضة حاضرة في الذهن مباشرة.

وأما في قوله صلى الله عليه وسلم "**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**"[1] وقوله "**أَعُوذُ بِكَ**"[2] فقد استعير المضارع في معنى الطلب-أعذني- وهذا من أعلى مراتب الأدب في الطلب، فبهذا الأسلوب يثبت أنه هو المحتاج لسيده -أنا الذي أريد وأنت الغني عني-، وفيه إشارة إلى الرغبة في استمرار هذا الطلب ودوامه وتجدده.

**المطلب الثاني: صور التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل أو المفعول.**

وقد يعبر عن الفعل باشتقاق الفاعل منه أو المفعول، للمبالغة في تعدي مرتبة التجدد والزمنية لتصل بالسياق إلى جعله وصفاً ملازماً له لا ينفك عنه، فحينما يقول النبي صلى الله عليه وسلم "**خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**"[3] فهذا يجعل السامع يعي بأن الخلود سيكون هو السمة الثابتة في حياتهم القادمة، ولو قال -اخلدوا أو تخلدون- فإن النفس يدخلها تردد بأنه هذا قد لا يستمر أبداً؛ لأن للفعل زمناً لابد من انقضائه، أما الاسم فلا زمن له، والحياة الأخروية لا زمن فيها بعد انتهاء الحساب والجزاء، وهذا يتسق مع اللفظ القرآني الذي لم ورد بلفظ اسم الفاعل (خالدين) في جميع الآيات، إلا في موضع واحد في سورة الفرقان[4].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم)، رقم الحديث (٤٦٢٨)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(ومنكم من يرد إلى أرذل العمر)، رقم الحديث (٤٧٠٧)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله عز وجل:(وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث (٤٧٣٠)

(4) في قوله تعالى:" يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا". (الفرقان: ٦٩) والسبب في وروده هنا بلفظ الفاعل؛ أنها خاصة بمشركي مكة، فعن سعيد بن جبير: أن عبد الرحمن بن أبزى أمَره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في" النساء":" ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم" إلى آخر الآية والتي في" الفرقان":" وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا" إلى" وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا"، قال ابن عباس:" إذا دخل الرجل في الإسلام وعلم شرائعه وأمره، ثم قتل مؤمنًا متعمدًا، فلا توبة له. وأما التي في"الفرقان"، فإنها لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة: فقد عدَلنا بالله، وقتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق، وأتينا الفواحش، فما ينفعنا الإسلام! قال فنزلت:" إِلا مَنْ تَابَ" الآية:16، فهي لأولئك". السيوطي، **الدر المنثور**، ط١، ج٤، ص٥٩٦.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"[1] فلفظ –سحاء– ورد في سياق أفعال، ذلك دلالة على دوام إنفاقه تعالى وجريان رزقه مادام الليل والنهار.

وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟**"[2] فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول –أحدكما يكذب، فمن الذي سيتوب؟–، ولكنه جعل الكذب صفة ثابتة في المنكر باستمرارهما على النفي، وحضّهما على التوبة من هذا الذنب قبل أن تتم الملاعنة بينهما، وأثبت صفة التوبة لمن يتوقف عن الاستمرار في الملاعنة، وفي هذا الأسلوب من الحث والترغيب ما يقربهم للتوبة والإنابة دون غيره من الأساليب.

وأما في قوله صلى الله عليه وسلم لقومه في مكة "**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**"[3]، فهو يصف نفسه بالنذير، ولم يقل –أنذركم– بل جعل الإنذار صفة لدعوته؛ لبيان الغرض الأساسي من بعثه، بشير ونذير.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم على لسان الرحم "**هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ**"[4] فظاهر السياق –مقام من يستعيذ بك– إلا أنه جعل لهذا المقام صفة خاصة به تعظيماً له.

ونجد في قوله صلى الله عليه وسلم "**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ**"[5] يصف ذلك القارئ بأنه يحفظه، وظاهر السياق أن يأتي به فعلاً كبقية الحديث "**وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ**"، إلا أنه أراد أن يجعل الحفظ سمة لذلك القارئ الذي يرتقي بتلاوته للقرآن لمرتبة السفرة الكرام البررة –جعلنا الله منهم– .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(ويدرؤا عنها العذاب)، رقم الحديث (٤٧٤٧)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، رقم الحديث (٤٨٠١)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٣٧)

**المطلب الثالث: أغراض وضع الخبر موضع الانشاء، ووضع الانشاء موضع الخبر.**

سبق معنا في مبحث الخبر والإنشاء أن الخبر هو ما احتمل التصديق أو التكذيب، وأن الإنشاء ما لم يوصف بصدق أو كذب، ولكل منهما علامات يعرف بها، ومعنى جملة الخبر الإخبار عن شيء، وأما جملة الإنشاء فمعناها إما الطلب بالأمر أو النهي أو الاستفهام أو النداء أو التمني، ولكن قد تنحو جملة الخبر منحى الإنشاء، وتفيد معنىً من معانيه، وقد يأتي الإنشاء للإخبار بخبر، وهذا الخروج عن ظاهر اللفظ لأغراض عدة، سنعرض لبعضها فيما يلي.

**وضع الخبر موضع الإنشاء:**

ففي الحديث القدسي "**قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**"[1] نلحظ أن جمله كلها خبرية، لكنها ليست قابلة للنفي أو الإثبات، إذ إن الغرض من هذا الحديث بمجمله؛ النهي عن مثل هذا العمل وزجر مرتكبيه.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**"[2] وقوله "**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ...**"[3] فهذه جمل ظاهرها الخبرية، إلا أنها إنشائية الغرض منها الطلب –الدعاء–، وهذا من الأدب معه سبحانه وطلب دوام هذا الطلب ما عاش الطالب من دهره، إذ المضارع يفيد تجدد الفعل واستمراريته.

ومنه، قوله صلى الله عليه وسلم "**تَرِبَتْ يَمِينُكِ**"[4] ظاهره الخبر، ودلالته الدعاء، وغرضه الزجر والتوبيخ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم)، رقم الحديث (٤٤٧٩)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم)، رقم الحديث (٤٦٢٨)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(ومنكم من يرد إلى أرذل العمر)، رقم الحديث (٤٧٠٧)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه)، رقم الحديث (٤٧٩٦)

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم على لسان الرحم "**هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ**"[1] ظاهره الإخبار ومعناه طلب الاستعاذة من القطيعة، وهذا من المبالغة في هذا المعنى.

**وضع الإنشاء موضع الخبر:**

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**"[2] فالإخبار في هذا الاستفهام جلياً، إلا أنه لسعة نفقته جل جلاله أورد ذلك صلى الله عليه وسلم بأسلوب الاستفهام تعظيماً وتكثيراً.

ومن ذلك، قوله صلى الله عليه وسلم "**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ... أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ**"[3] ظاهره الاستفهام، ومقصده العرض والإخبار عن صفات أهل الجنة وأهل النار.

**موضع الجمل الشرطية:**

اختلف البلاغيون في الجمل الشرطية، هل هي خبرية أم إنشائية؟ والأقرب هو رأي الذين يصنفون الجملة الشرطية بحسب جوابها، فكما هو معلوم أن للجملة الشرطية طرفان –شرط وجوابه– فإن المعنى المقصود من الشرط كله هو جوابه، لذا جعلوا الجواب هو المعيار الذي تقاس عليه الجملة الشرطية، وإذا نظرنا لهذا الرأي باعتبار ما تُميز به الجملة الخبرية من الانشائية، وعُرض جواب الشرط على معيار التصديق والتكذيب؛ لظهر قبول الشرط لذلك إن كان خبراً، وعدم قبوله لذلك إن كان إنشاءً، وقد وردت أحاديث متعددة في هذا الكتاب، سأطرق لها ولأغراض إيرادها –خبراً أو إنشاءً–.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وتقطعوا أرحامكم)، رقم الحديث (٤٨٣٠)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وكان عرشه على الماء)، رقم الحديث (٤٦٨٤)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(عتل بعد ذلك زنيم)، رقم الحديث (٤٩١٨)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها "**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**"[1] جواب هذه الجملة فعل أمر –احذروهم– فهي بناء عليه جملة إنشائية، الغرض من الشرط، التحذير من هؤلاء المضلين الزائغين، إذا ظهر شرهم.

وقال صلى الله عليه وسلم "**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ**"[2] وهذه الجملة جوابها خبر مؤكد –فقد كذب– جملة خبرية، مقصدها النهي عن مثل هذا القول أو الاعتقاد، سواء إن كان المقصد تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وسلم على يونس، أو تفضيل النفس ذاتها على النبي الكريم يونس عليه السلام، فمن وقع فيه فقد وقع في أمر عظيم لا يليق به، إذ التفضيل بيد الله وحده.

وقال صلى الله عليه وسلم "**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**"[3] جملة شرطية جوابها خبر مؤكد باللام –لضحكتم، لبكيتم– وفي هذا اللفظ من الرهبة والخوف والشفقة ما يجعل الإنسان يقف أمامه كثيراً، ويتأمل ما الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نعلمه، فجعله يقول هذا القول، ويؤكده ويقسم عليه؟[4]، فلما انتفى عن الناس العلم به؛ وقعوا في اللهو والإعراض عن الآخرة.

وأما في قوله صلى الله عليه وسلم "**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**"[5] فالجواب فعل مضارع اقترن بلام الأمر؛ فالجملة حينئذ إنشائية، مقصدها من وقع في مثل هذا القول فليبادر بالتوبة وتجديد العقيدة.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(منه آيات محكمات)، رقم الحديث (٤٥٤٧)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) إلى قوله: (ويونس وهارون وسليمان)، رقم الحديث (٤٦٠٤)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، رقم الحديث (٤٦٢١)

(4) في بعض روايات الحديث "والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتُم قليلًا ولبكيتُم كثيرًا". أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، برقم (١٠٤٤).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (أفرءيتم اللات والعزى)، رقم الحديث (٤٨٦٠)

وأما في قوله صلى الله عليه وسلم "**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ –أَوْ رَجُلٌ– مِنْ هَؤُلاءِ**"[1] فالجواب جملة خبرية مؤكدة باللام –لناله–، غرضه صلى الله عليه وسلم التأكيد على فضيلة هؤلاء الرجال ومنزلتهم، وصدق إيمانهم، ومثله قوله صلى الله عليه وسلم "**لَوْ فَعَلَهُ لأَخَذَتْهُ الْمَلائِكَةُ**"[2] جوابه خبر مؤكد، لبيان استحقاق أبي جهل للعذاب.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)، رقم الحديث (٤٨٩٧)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة)، رقم الحديث (٤٩٥٨)

## المبحث الرابع: التغليب.

التغليب هو:" ترجيح أحد المعلومين على الآخر، وإطلاقه عليهما"[1]، ويكثر تغليب الذكر على الأنثى في النصوص العامة، وكذلك في الأمر والنهي الشامل لهما، كما في "**ابْنُ آدَمَ**"[2] فليس خاص بالرجال أو ببني آدم الذين عاشروه، بل هو عام للبشر من نسل آدم عليه السلام.

ومن ذلك تغليبه صلى الله عليه وسلم لفظ (رجال) في حديث "**لَنَالَهُ رِجَالٌ –أَوْ رَجُلٌ– مِنْ هَؤُلاءِ**"[3] فليست هذه الفضيلة خاصة برجالهم، بل هي عامة للرجال والنساء الذين اصطفاهم الله لدينه.

ويدخل في هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم "**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**"[4] ظاهر الحديث أن القوي ليس من أهل الجنة وأن الضعيف ليس من أهل النار، إلا أنه يدخل الجنة قوي المال والجاه والبدن، إذا سخر حياته وماله وجاه وبدنه لله وفي مرضاته، ويدخل النار الفقير الضعيف الذي لا حول له ولا قوة، حين يتبع رغباته وشهواته، ويمضي عمره في معصية الله وتتبع أهواء النفس، وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الصنف، "وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال. وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبْر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً، ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع –وإن دقّ– إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك"[5]، ولذا يُستنتج من هذا اللفظ أن غالبية أهل الجنة هم الفقراء،

---

(1) الجرجاني، **معجم التعريفات**، د.ط، ص٥٦

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولداً)، رقم الحديث (٤٤٨٢)، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(وما يهلكنا إلا الدهر)، رقم الحديث (٤٨٢٦)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله:(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)، رقم الحديث (٤٨٩٧)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:(عتل بعد ذلك زنيم)، رقم الحديث (٤٩١٨)

(5) أخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم(٧٢٠٧) بترقيم تحفة الأشراف.

وغالبية أهل النار هم الأغنياء، لما قد يقوده الغني على صاحبه من الفتن والانشغال عن عبادته تعالى ومرضاته.

## الخاتمة

الحمد لله الذي يسر هذا العمل وسهله، وأسأله أن يبارك فيه ويجعله خالصاً لوجهه وأن يهديني به إلى الصراط المستقيم.

مما يجب في نهاية هذا البحث، التنبيه إلى التوزيع المتبع فيه، فقد تم الاعتماد فيه على التقسيم البلاغي المتعارف عليه حديثاً، وهو تقسيم البلاغة إلى ثلاثة فنون: علم المعاني واكتفي بعلم المعاني؛ ولهذا ستكون هذه الخاتمة مقسمة على هذا النحو.

١- تجب الإشارة إلى أن الموضوعات التي دارت حولها أحاديث كتاب التفسير من صحيح البخاري؛ لأن حصر المواضيع يعطي صورة عامة لمخرجات هذه الدراسة في جميع الفنون البلاغية الثلاثة ولا سيما علم المعاني؛ إذ إن لكل موضوعٍ أساليبه وبيانه وبدائعه الخاصة به واللائقة معه، والمتسقة في مقاصده، وبالنظر في المعاني الإجمالية لهذه الأحاديث، نجد أن الأحاديث بلغت ستين حديثاً، انحصرت مواضيعها في: ذكر أحوال البعث وأحداث يوم القيامة وما يتعلق بها من ذكر الجنة والنار، وكان ثلث أحاديث الكتاب في هذا الموضوع، ثم في ذكر أحوال الناس ومعالجة مشاكل المجتمع والأسرة والحقوق والواجبات، ثم التحذير من ذنوب الأمم السابقة والمفسدين في الأرض ومن الافتراء على الله تعالى ومن التجبر والطغيان، ثم في تعليم الأمة وإرشادها لما يصلح لها دينها ودنياها، ووردت أحاديث تبين مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته وصبره على تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله، وما يتعلق بأهم النتائج:

- فبالتأمل في نتائج الدراسة برز فن التوكيد بشكل واضح، وكثرت أساليبه وأدواته، وهذا مما يحتاجه البيان النبوي في الإخبار عن أحوال البعث وأحداث يوم القيامة؛ كونها أمور غيبية تحتاج للتوكيد، وكذلك ما يتعلق بالواجبات المجتمعية والأسرية والتحذير من الذنوب والعيوب الخلقية، ويلي التوكيد أساليب الأمر والاستفهام بمعانيهما المتعددة؛ وهذا يتوافق مع طبيعة مواضيع هذا الكتاب، أما أساليب النهي فأقل بكثير

لما في استخدام هذا الأسلوب من تنافٍ مع الأسلوب النبوي الذي يدعو للترغيب والتقريب قبل الترهيب والتنفير، وكذلك أساليب التمني؛ لقلة المواضيع التي يكثر فيها، وكذلك أساليب النداء؛ لأن غالب المواضيع وعظية وإرشادية.

• وأما في أحوال الإسناد، فقد تميز الأسلوب النبوي بالدقة في التعبير عن المعاني بذكر ما يستدعي المقام ذكره؛ فجاء موافقاً للمقال والحال معبرًا بصدق عن كل حال، وحذف ما يَجمُل حذفه، وقد كثُر في فن الحذف البناء للمجهول؛ لارتباط هذا الأسلوب مع أحداث القيامة وأساليب التحذير والإغراء، وأما في فن التقديم والتأخير فقد برزت فيه أغراض التخصيص والعناية بالمقدم، وأظهرت أساليب التعريف والتنكير جمال ما توحي به من معانٍ متعددة.

• وفي أساليب القصر والوصل والفصل، يظهر أثر انحصار المواضيع فيما ذكر أعلاه على قلة مواضع الحصر في الكتاب، وتجلت البراعة النبوية في الروابط المعنوية الدقيقة بين الجمل، والفصل بين المقاصد في الحديث الواحد بما يثري الموضوع ويطربه.

• وأما في فن الإيجاز والإطناب والمساواة، فقد امتازت المعاني بتوافقها الباهر مع الألفاظ التي حملتها، ففي المواضع التي تساوت فيها الألفاظ مع معانيها، كانت مواضيعها لا تحتمل إطناباً لقرب المعنى ووضوحه، ولا يحسن فيها الإيجاز؛ لأهمية بيان مقاصدها، وأما المواضع التي أوجز فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت ذات معانٍ كثيرة متعددة يحسن فيها الإيجاز؛ لحث السامع على التفكير في معانيها ومقاصدها، أما المواضع التي كانت مسهبَة، فقد كان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على التوضيح والتفصيل فيها جلياً؛ حتى لا تحتمل المعاني غير المراد منها؛ لذا كان الأسلوب النبوي في هذا الفن دقيقاً رفيعاً.

• وفي خروج الكلام عن ظاهره، فقد برع الأسلوب النبوي في الإفادة من الأسلوب القرآني في فنون الالتفات والتعبير عن الأفعال أو الجمل بغير أزمنتها التي يقتضيها السياق، وخاصة فيما يتعلق بأخبار يوم القيامة وأحوالها؛ لعلاقتها المباشرة بهذه الفنون. والحمد لله رب العالمين

## فهرس المراجع


1. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، **المثل السائر**، تحقيق: الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)

2. ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د:ت).

3. إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عن العرب**، ط٤، (بيروت: دار الثقافة،١٩٨٣م)

4. الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط١، (الرياض: مكتبة المعارف،١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

5. الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)

6. أيمن أمين عبد الغني، **الكافي في البلاغة**، د.ط، (القاهرة: المكتبة التوقيفية للتراث، د.ت)

7. **التفسير الميسر**، نخبة من العلماء تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط٤ (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٣هـ).

8. الباتلي، أحمد عبد الله، **الإمام الخطابي –المحدث الفقيه والأديب الشاعر–**، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)

9. بانقيب، عبد الله بن عبد الرحمن بانقيب، **مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني ٣٨٦هـ إلى عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ**، ط١، (الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ)

10. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، بإشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط٤، (الرياض: دار السلام، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)

11. أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٥، (مصر: دار المعارف، عام ١٩٩٧م).

12. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، جمعها: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (الرياض: مكتبة المعارف، د.ت)

13. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، **مجموعة الفتاوى**، تحقيق/ عامر الجزار وأنور الباز، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ).

14. **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني**، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ودكتور محمد زغلول سلام، ط٣، (مصر: دار المعارف، ١٩٧٦)

15. الجاحظ، أبو عثمان عمرو، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، (بيروت: دار الجيل)

16. الجاحظ، أبو عثمان عمرو، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢ (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٥هـ)

17. جبران مسعود، **الرائد**، ط٧، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)

18. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **أسرار البلاغة**، صححها: السيد محمد رشيد رضا، د.ط (د.م، المكتبة التوقيفية، د.ت)

19. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، ط٥،( القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٤هـ).

20. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، **معجم التعريفات**، د.ط، (القاهرة: دار الفضيلة، د.ت).

21. الجصاص، أبو بكر محمد بن علي الرازي، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، د.ط. (بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤١٢هـ/١٩٩٢م)

22. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، د.ط، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م).

23. ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر الدويني النحوي، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق: حسن أحمد العثمان، ط١، (مكة المكرمة: المكتبة المكية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

24. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق/ محب الدين الخطيب، ط١ (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ)

25. حسن عباس، **خصائص الحروف العربية**، د.ط (منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م)

26. حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، د.ط (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤١٠هـ).

27. ابن حنبل، أحمد بن حنبل، **مسند أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

28. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، **معالم السنن**، ط١ (حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ)

29. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، تحقيق: الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط١، (مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ)

30. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، ط١١، (بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤١٤هـ/١٩٩٦هـ).

31. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، **مختار الصحاح**، تحقيق: شهاب الدين أبي عمر، د.ط، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)

32. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، (دمشق: دار القلم/ ١٤١٢هـ)

33. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)

34. الزبيدي، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، **التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح**، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ)

35. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، (مصر: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦م)

36. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط١٥، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

37. أبو زهرة، **محمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم**، د.ط، (د.م: د.ت).

38. السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

39. ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، **غريب الحديث**، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ)

40. السندي، أبو الحسن الحنفي، **سنن ابن ماجه بشرح الإمام السندي**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)

41. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي، ط١(القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

42. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، د.ط، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ)

43. شوقي ضيف، **البلاغة تطور وتاريخ**، ط٨، (القاهرة: دار المعارف،١٩٩٢م).

44. شيخ الأزهر الحنفي، أبو المكارم نجم الدين محمد بن سالم بن أحمد الحنفي الشافعي الخلوتي، **حاشية الحنفي على الجامع الصغير من حديث البشير النذير**، تصحيح: علي صقر، ط١، (سوريا: دار النوادر، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)

45. أبو الطيب آبادي، محمد شمس الحق العظيم، **عون المعبود شرح سنن أبي داوود**، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)

46. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، د.ط، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)

47. عَبد الله بن يُوُسف الجُدَيْع، **المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف**، ط٣، (بيروت: مؤسَسَة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

48. عبد المتعال الصعيدي، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**، د.ط، (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)

49. ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية**، ط١ (السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤هـ).

50. ابن عثيمين، محمد بن صالح، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط الأخيرة، (الرياض: دار الوطن للنشر. ١٤١٣هـ)

51. العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، **طرح التثريب في شرح التقريب**، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

52. العز ابن عبد السلام، العز عبدالعزيز بن عبد السلام السلمي، **بداية السول في تفضيل الرسول** صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، د.ط، (د:م، المكتب الإسلامي، د.ت).

53. علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة**، د.ط، (مصر: دار المعارف، د.ت).

54. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ضبط وتصحيح/عبد الله محمود محمد عمر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).

55. الغنيمان، عبد الله بن محمد، **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، ط١، (دمنهور: مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ)

56. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، **مقاييس اللغة**، راجعه: أنس محمد الشامي، د.ط (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)

57. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ط٦، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)

58. القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط١، (بيروت: دار الفكر،١٤٢٢هـ).

59. القاضي عبد الجبار، أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي، **المغني –الفرق غير الإسلامية–**، تحقيق: محمود محمد قاسم، د.ط(مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٥م).

60. القاضي عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد، **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق: د.عبد الكريم عثمان، ط٣ (القاهرة: مكتبة وهبه، ١٤١٦هـ).

61. القاضي عياض، أبو الفضل الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: الدكتور يحي إسماعيل، ط١، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ).

62. القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط٧، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ).

63. ابن القيم، **متن القصيدة النونية**، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ط١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ).

64. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ط٥ (لبنان: دار المعرفة، ١٤١٢هـ).

65. الكجراتي، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، ط٣، (د.م: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)

66. كمال عز الدين، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، ط١، (بيروت: دار إقرأ، ١٤٠٤هـ)

67. لاشين، موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، ط١، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٢م)

68. ابن مالك، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، **متن ألفية ابن مالك**، د.ط، (الرياض: بيت الأفكار الدولية، د.ت).

69. المباركفوري، أبي العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ضبط: عبد الرحمن محمد عثمان، د.ط، (د.م: دار الفكر، د.ت)

70. مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، **المعجم الوسيط**، ط٢، (إستانبول: المكتبة الإسلامية، د.ت)

71. محمد حاج إبراهيم، **منهج الجرجاني في تحليل النظم وتطبيقاته في سورة الكهف**، رسالة ماجستير، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، (ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، ٢٠٠٨م)

72. محمود شاكر، **مداخل إلى إعجاز القرآن**، ط١، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٢٣هـ).

73. مسلم، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بإشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط٤، (الرياض: دار السلام، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

74. مصطفى محمد عمارة، **جواهر البخاري وشرح القسطلاني**، ط٣، (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ)

75. ابن المعتز، عبد الله بن محمد، **البديع في البديع**، ط١، (د.م: دار الجيل، ١٤١٠هـ).

76. معيد زكري توفيق الهاشمي، **المجاز في (أساس البلاغة) للزمخشري**، رسالة ماجستير، كلية التربية، (العراق: جامعة بغداد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

77. ابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، تحقيق دار الفلاح بإشراف: خالد الرباط وجمعة فتحي، ط١، (سوريا: دار النوادر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)

78. ناصف، حنفي، ودياب، محمد، ومحمد، سلطان، وطموم، مصطفى، **دروس البلاغة بشرحه شموس البراعة**، د.ط، (كراتشي: مكتبة البشرى، ١٤٣٢هـ)

79. نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير –دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة–** ، ط٤، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).

80. ابن نور الدين، محمد بن علي بن إبراهيم الخطيب الموزعي، **مصابيح المغاني في حروف المعاني**، تحقيق: د. جمال الدين طلبة، ط٢ (المدينة المنورة: دار الفجر الإسلامية،١٤٢٥هـ).

81. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط٤ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ).

82. الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة**، ط٦، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

83. مراجع شبكة الإنترنت:

84. محمد رفعت، "الدقة العلمية في الأمثال النبوية"، د.ت،

http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/93-acyaccur-Scientific-number/960-Thirty-